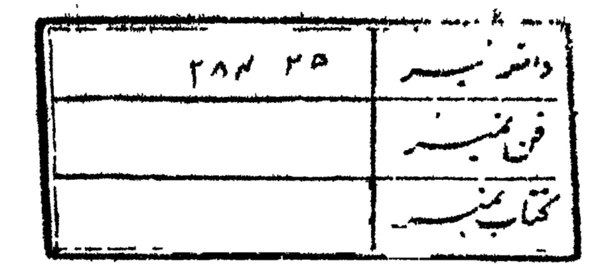


مذكرات خادمة

واعمالها في المنازل

الجزء الاول و الجزء الثاني

تعريب

محمد عبد العزيز الصدر

مطبعة الشباب خلف جامع العظام

مقدمة الطبعة الاولى

هـذه المذكرات التي يتناولها القراء الآن هي مجموعة ثمينة من الاسرار العميقة التي قل أن يصل اليها الا هذه الخادمة التي اختلطت بالعائلات اختلاطا كليا ، وهكذا هم الخدم يندسون في وسط العائلات ويطلعون على كل شيء فيها ، ويتحدثون في كل مكان عنها

وهناك في أوروبا أسرار ، قد تختلف من بعض نواحيها عن الاسرار هنا ولكنها أقرب في الشبه اليها

فهل للناس أن يفكروا في الخطار المحدق بهم من الخادمين والخادمات ؟

هذا الذي أستطيع أن أقوله والسلام ؟

المعرب

مقدمة الطبعة الثانية

البيت هو حجر الزاوية فى بناءات المدنيات على مختلف صنوفها وهو أساس العمران ، فاذا فسد البيت فسد كل شيء ، واضطربت أحوال الدنيا اضطرابا ، واختل توازنها الكلي والجزئي

وهو فى ذاته رباط العائلة ، ومحل اجتماعها ، فاذا نال المتطرفون الآن بغيتهم في هدم كيان العائلة وذهبوا مذهب الاباحية ، فجعلوا المرأة متعة لهم ولامثالهم ، كان ذلك بسبيل إلى تدهور الاجتماع ، وها أنت ترى ما تجري به الاباحية الآن من ضياع التكوين النفسى للمرأة ، وأنها لتصبح سلعة تتقاذفها الايدى ، بل هى كرة لاعب تتقاذفها أرجل الناس

انظروا ماذا كان من أمر المرأة اليوم ، بتأثير هذه الحمى المروعة التى أصابها الناس ، بعد الحرب العالمية الفائتة ؟ لقد طلبت الحرية ، بعد أن كانت فى أسر كما ادعت ، وخرجت الى العالم تفك قيودها فبهرها اللألاء المنتشر هنا وهناك فاندفعت متهورة ، مستهترة ،

فرحة ، مرحة بهذا الطلاء الذي أصاب الحياة ، وسرعان ما كبت
في طريقها ، وأنها لتحاول القيام فتكبو مرة أخرى ثم مرة ثالثة ورابعة

ويدلك الحال على أنها لم تخلق لهذا الميدان الذي تريد أن
تخرج اليه ، وانها خلقت لتكون سيدة العالم ، تراقبه العالم عن كثب
وتقدم اليه ابطاله المكافحين في كل سبله من مهذبين ، وعباريين
علماء ، ومخترعين وغيرهم وان هذا المجهود شاق جدا يعجز عنه الرجال

وأنا لنحس الآن بما أصاب المرأة في ميدان الحياة ، وأنها لتفقد
أكثر مما تظن أنها تجنيه ، وماذا تجني من هذا الوسط الموبوء ؟
تخرج فيتسابق وحوش البشرية اليها ، ولا يزالون بها حتى تذبل
وما هي إلا الزهرة العبقة الرائحة ، تملأ رحب هذا العالم بطيب أريجها
ويراها الرجل في زهوها ، فيقبل يشمها فاذا تمكن منها سحقها ،
واذهب رواءها ، وأضاع زهوها ، ثم تركها ، وتناول غيرها

اليس كذلك ؟

هكذا هم الرجال ، وهكذا هم خلقوا ، تطيب لهم امرأة ،
فيخضعون لها ، ويقبلون عليها ، ثم يذهبون بها مذاهب الشقاء ،
والمرأة لابد لها من رجل ، وجدير بالرجال أن يرحموا النساء ،

وأن يعدوا أنهن زهرات قائمات على حافة مسيل المياه ، يروبها هذا المسيل لتنعش تحت حرارة الشمس الغير المحرقة، ولا يحسن أن يكون نصيبها أحراقها ، فاننا اذا فعلنا ذلك أصبحت الدنيا صحراء ، قحلاء ، جافة ، وأصبحت شمس هذه الدنيا محرقة ، لايحتملها الرجل

فجدير اذن أن يعطف الرجال على النسوة ولا يسوموهن سوء العذاب ، فلسن هن جديرات بهذه المساءة ، وقد نستطيع أن نصلح من شأنهن ونهذبهن

يقول الرجال أن النساء غير مخلصات ، وهذا قول زائف ، لانه فى استطاعتنا نحن الرجال أن نعلمهن الاخلاص فلا يخنا ، ولا يحلن بهذه الخيانة ، لان المرأة مجموعة احساس ، تضطرب لاية حادثة ، ولقد جرت شؤون الحياة الماضية فاعملت في هذه الاحساسات ما شاءت وخلقت لها اضطرابات غير طبيعيه الزمتها اياها طوال السنين السالفة ، فهل يمكن بعد ذلك أن نهديء نحن الرجال من هذه الاعصاب ، ونقوم أمرها ؟ المسئلة تحتاج فى حقيقتها الي شيء من الدرس والفحص ، وتعرف كنه دخائلها ، وفحص كوامنها

وان أنس لا أنس تلك الوحشية التي بقيت في الانسان الي اليوم

وقد ورثها عن أجداده سكان الصحاري ، وأصدقاء الوحوش ،
هذه الوحشية فى ذاتها تتخذ سبيلا يتغير بتغير الاجواء ، وانها لتتخذ
من كل مدينة طريقا يصل بها الي رغبتها ، فنجدها عند احدى اثنتين
فاما أن يفاجئها ، ويستخدم القوة فى الحصول عليها ، والقيام بما تتطلبه
نزوته ، وأما أن يحتال من أجل هذه الفرصة عن طريق التغرير
فيتاين لها حتى تستلين له ، والنتيجه لواحدة ، ولكن الوسيلة
هي المختلفه

أما الاولى فمدنية ، وأما الثانية فمدنية أيضا

الاولي تدفعها طبيعة الانسان فى أصلها ، والثانية تدفعها طبيعة
الانسان المهذبة ، أو المقصورة لحساب الانظمة التى اختارها في الجماعة
التى يعيش فيها ، وما مدنية الامة الا انظمة اتفق عليها الناس للقيام بها
سواء أ كان ذلك عن طريق الحاكم ، أو عن طريق العادة المتكررة
حتى الرسوخ ، فتصبح مألوفة ، مطمأن اليها

وحسنا بعد ذلك أن نعود إلى البيت فنذكر له فضله على المجتمع
ونذكر بعد ذلك ماذا يكون من أمره مع خدمه

فالخادمة للبيت ، من لوازمه ، ومن لوازم الحياة فيه ، تطلع

على كل مافيه من حوادث لاسيما اذا كانت ذكيه تدرك كل خطرة وكل سكنة ، وتتمشي في داخليات الامور لتعرف كل ناحية فيها

ومن عجيب الامر أن تجد بين الخادمات المذكورات من تحسن الشره ، فتتقدم الى كل من صاحب البيت وصاحبته بما عندها من دهاء حتى تتمكن من تعرف سرهما وليت الامر يقف عند هذا الحد ، بل لاتزال بسيدتها حتى تصل الى شغاف القلب منها واذذاك لاتبقي السيدة شيئا في نفسها الا وتقص حديثه عليها ، وهي لاتزال تلهث تعبا في الوصول الى طيات الامور ودقائقها

وكم في البيوت من أسرار ، وخصوصا فى عصر نعيش فيه ونكاد نسميه عصر المادة ، فان كل شيء يضيع فى سبيل هذه المادة ، وفي سبيل الحصول عليها ، وحديثا استشاط الناس غضبا من حال كهذه ، ولكنها لن تتغير الا اذا قام فى مجري الحياة نفسه شلالا يحول دون بقاء الحال ، فيجره الي ناحية أخري تكون أنقى وأ تقي

اجلس الي جماعات من الخدم من رجال ونساء ، فماذا تسمع منهم ؟ وعن ماذا يحدثونك ؟ أحاديثهم طويلة ، وقد تكون مملة الى حدما ، ولكنك فى ناحية أخري فانك لتجد لاحاديثهم طلاوة

وتكاد مجالس اليوم لتتسمع هذه الأحاديث قديمًا وندرة أن يقصوا عليك حديث دخائل البيت ، وما دخائل البيت في ذاتها إلا حقائق مروعة تأخذ على الناس طريق هناءتهم ، وتزعجهم إزعاجا وكم ترى في هذه الحوادث من مزعجات ؟ ! ؟

محمد عبد العزيز الصدر



البيت الاول

!! . . اليوم العاشر من شهر أبريل وفى نحو منتصف الساعة الرابعة منه . التحقت بوظيفتي الجديدة فى المحل الخامس عشر فى الخمس السنوات التي أمضيتها فى وظيفة « وصيفة »

لا أظن حرجا اذا قدمت نفسي بصفتى خادم ، لاولئك السيدات والسادة الذين يرتاحون لما أكتب ويجدون فيه لذة وسرورا ، اذ يطالعون فى سياحتي في انجلند وغيرها حوادث غريبة ومظاهر حيوية عجيبة

اسمي(ماريت لاباس) ابنة جاكس لاباس فلاح ، وصاحب أطيان فى ضاحية (باجني) وبالقرب من (لاوكسير) فى (يون) وعمري خمس وعشرون سنة . جميلة الطلعة . بسامة ، فاحمة الشعر ، أجيد التطريز ، أقوم بتنميق ملابس السيدات والبسهن احسن ما يطلبنه ، أحمل في يدي شهادات حسنة تشهد لي بالاجادة فى كل هذه الانواع ، وبين هذه الشهادات شهادة من أحدى زوجات رجال مجلس الوزراء الانجليزي. ولاأنس أنها كانت بذيئة اللسان لا تحسن التخاطب ولا تعرف له طريقة بل لا تستطيع أن تزن

الفاظها — أما أنا فأحسن الكلام باللغة الفرنسية والايطالية والانجليزية ، وقليل من اللغة الالمانية ، وقبل لي أني أجيد المطالعة وأتناول على عملى ثمان وأربعين جنيها فى السنة ، هذه صفاتي وميزاتى التي أتقدم بها اليكم ياسادتي القراء

أما البيوت الكبيرة فليس فيها من يعرف شيئاً أو يسمع أكثر من الوصيفة ، إنها لتسمع بأذنيها ، وتري بعينيها كل شيء وليس في مقدور غيرها أن يعي بعض ما عندها أو يستوعب كل خبر من أخبار البيب مثلها أنها تلم بكل شيء وخصوصا اذا كانت سيدتها حسناء ضحوكا ، لعوبا تحسن المداعبة وتجيد فن الكلام ، اذ ذاك تستطيع أن تقترب منها وتصحبها ، وقد كنت أنا احدى هؤلاء اللائي نلن الحظوة في عين سيداتهن

— ٢ —

لقد كنت موضع سر سيداتى ورسولة رغباتهن فى كل مكان انفقت زمنا طويلا جدا فى خدمة سيدات انجليزيات ورأيت حوادث غريبة تبعث الى الدهشة

وقد اعتزمت أن أقص بعضها وأظن أن القارىء اذا

أدهشه ما يجرى فى حجرة الخدم ، ومرت بخياله هواجس كثيرة فانه لأشد دهشة اذا رأي ما يجري فى حجرة الضيفان الخاصة

كان آخر بيت طرقته قبل أن أحضر الى هنا ، الي بور بموث ، بيت مسز انجلهارت ، وكانت نسكن بيتا فخما جميل الاثاث منمقا ، في ميدان كابفلاند ، ولها زوج يشغل محلا فى المدينة

آه ! نعم أذكر جيدا اني اشتغلت اذ ذاك عن طريق مكتب مسز بانك والناس هناك تعرفها فانها تنشر فى الجرائد اعلانات تطلب فيها فتيات أجنبيات للخدمة واذكر أيضا اني حضرت الي هنا فى عربة وكان الجو ممطرا

وإن أنس لا أنس تلك النظرة التي قابلني بها خادم المائدة (فرانسيز) فقد كانت غريبة فى ذاتها ، وداعية الي الدهشة وكان فرانسيز هـذا عجوزا انجليزيا باردا سليط اللسان ، أما السيدة انجلهارت ، فكانت صغيرة السن جميلة الوجه عندها عدد كثير من (الفساتين) وعنـدها مقدرة فى اختيارها وفي دقة تنسيقها في الوقت الانسب لها ، وهى مقدرة تفتقر اليها الكثيرات من السيدات وكانت تعاملني معاملة حسنة جدا لم يسبق لى أن حظيت بمثلها عند من سبقتها

اما السيد الجليل فكان لطيفا سميرا ، يعرف كيف يختلط بالناس ويعاشرهم وكان يحبك القول ويجيد سبك العبارات ، حضر لأول مرة ليتناول الغذاء فتقدمت ونظرت اليه مليا فاذاهو شاب فى نحو الثلاثين ، طويلا حليق الذقن حسن البزة جميلا بساما وبينا كنت أترك الغرفة سمعته يقول لزوجته بالتليانية .

وقد ظن أنى لاأعرفها « وى !! أنه ليلوح لي أنها ذكية نشطة ولكن هل تستطيع أن تمسك لسانها فتكتم ماتسمع ولا تتحدث بما ترى ؟ »

مرت أيام بعد ذلك فالفت البيت ورأيته يمتاز كثيرا عن غيره ، ورأيته أيضا يتفق مع ما أطلب فطابت لي الاقامة فيه رضيت عني سيدتي الرضاء كله

كانت تعاملني معاملة حسنة جدا واذا أهملت قليلا في شيء كانت تتغافل بعض التغافل ، أما سيدى فكان يغيب كثيرا عن المنزل ولا يحضر اليه الا قليلا كان يمضى طول يومه خارج البيت فاذا حضر كان يعامل من فيه بالحسني وزيادة وكان أحيانا يبتسم لى فيظهر رضاء تاما عما كنت اعمل وكنت اسمع من زملائى بالمنزل وقد سبقونى اليه ثناءهم عليه ، وتحدثهم بلطفه وكرمه وامتلائهم

كثيرا بارتياحهم لـكل شيء فيه وكان يوجد بينهم شخص واحد لم ارتح للقائه ولم أجد في نفسي ميلا اليه ، هذا الشخص هو خادم المائدة فرانسيز ، ومرجع ذلك أنه كان كثير البحث فى أمري يريد أن يعلم عني وعن أهلي الذين فى لنـدن وعن أصحابي وعن قلبي أشياء كثيرة ، يريد أن يعرف ان كان لى حبيب أم لا !

كان هذا المخلوق أصلع يصبغ شاربه وقد ادهشني جدا ان رأيت له علاقات ممتازه مع سيدى وسيدتي ، فكان لا يتكلف ما تتكلفه من عبء الاحترام بل يبيح لنفسه معاملة الند للند والصديق للصديق وسمعته يوما يخاطب السيدة فى حجرة الضيـوف بلهجة الصديق أو الزميل

وكان لعائلة انجلهارت أصحاب كثيرون يزورونها فى بيتها ويترددون صباحا ومساء ويقضون عندها ليالي وأياما يمضونها فى سهر وسمر وبين هذه الجموع شاب متأنق في ملبسه خفيف الروح حلو الحديث يمتاز بدقته فى كل شيء ويمتاز أيضا بتقربه الى أهل البيت واحتفائهم به كل الاحتفاء

وكانت السيدة كثيرا ما تصحب زوجها الى نزهات خارجية تقضي فيها طول الليل ولا تعود معه الا الساعة الرابعة

- ٣ -

تعشى السيدة في فندق سافوى ، أو كارلتون ،أو واردوف وفي صباح اليوم الذي يلي يقوم الزوج فى نحو الساعة التاسعة فيودع زوجه وداعا مملوءا بالشغف والحب ثم يركب عربته الي المدينة تاركا اياها تدبر ما شاءته من تدبير وتحتال ماتراه من حيلة

سألت كثيرا عن عمل سيدى ولكن كنت لا أحصل على جواب ما ، والسيد فى نظر خادميه لغز يعسر حله عليهم ويرونه فى مكان الشك فلا يمكنهم اذ ذاك ان يقروا برأي

كنت في حجرة الخادمات مرة أتناول الغذاء فسألت زميلاتي وزملائي عن وظيفة سيدى فبهت فرانسيس اسؤالي وقال بصوت أجش :

— ماذا يعنينا من هذا البحث ؟ ان سيدنا رجل مهذب وقد قضيت فى خدمته ثمان سنوات وأنا أعرف كل شيء وعليك أن تسكتي ولا تعودى فتتدخلين فيما لا شان لك فيه انك ستتقاضين أجرا يرضيك وهذا كل ماتطلبين

وكان يدهشني جدا أن لا أري نظاما لمالية البيت فترى الفوضى

حضارية أطنانها في كل نواحيه وكنت أرى ضائقة مالية تحل به فتكاد تقصم ظهره وكنت أري تبذيرا واسرافا

ولاحظت مرة اذ خرجت سيدتي لتناول الغذاء مع بعض أصحابها أنها تركت خاتم الزواج (فى الدولاب) ووجدته مرتين اخريتين فادهشني امرها هذا وتأكدت أنها انما تتركه متعمدة لامر فى نفسها ؟ وهذا غريب طبعا !

وبعد أن امضيت فى خدمة (بيت انجلهارت) شهراً كاملا قالت سيدتى اننا سنرحل في نزهة الى (مونت كارلو) وانه يجب أن نعد المعدات لهذه النزهة التي سنبدأ بها من الغد

— حسن ! حسن جدا

وأسرعنا فاعددنا المعدات ومن بينها أجمل ما تملك السيدة من ملابس وضعتها فى حقيبة ، نعم هى أجمل ملابس السيدة ، ملابس الحفلات والمقابلات الرسمية المنمقة أحسن تنميق والمطرزة أحسن تطريز

وبعد ثلاثة أيام كنا فى فندق باري أمام الكازينو

وبينا كنت فى حضرة السيدة أرقب ما تلبس وانظم المشد قالت لى :

— ماريت أن عملك هنا لا يستغرق أكثر من ساعتين أحداهما فى صباح كل يوم والثانية في نحو الساعة السادسة من كل مساء وبذلك تكونين حرة تعملين ما تشائين ، فالزمن الباقى ملك لك تتصرفين فيه بما يطيب وهنا فى مونت كارلو لا يكون للوصيفة الا عمل بسيط جدا فاذا كنت فى موضعك ذهبت الى نيس أو الى ، منتون، وطرق المواصلات سهلة قربت بين الجهات فاذهبي الى أحديهما لتروحى عن نفسك عناء العمل .

أدهشني ماقالته سيدتي وجرى في خاطري أنهـا تريد أن تتخلص مني وانها ترغب في مفارقتي وان لا بد من سر يدعوها الى ذلك وثبت عندي هذا الرأى بما كنت أشهده يوميا فقد كان السيد يسرع الى نيس كل يوم وتسرع هى فتلبس أحسن ماعندها من ملابس وحلى وغيرها ثم تمضي يوما وجزءا من الليل فى لهو وسرور ولا تعدم سيدتي الجميلة أن تجد مسرحا تنفق فيه كل وقتها وقد جمعت حولها من الصحاب عددا كثيراً ولا شيء ينقص هذا الملهى الذي كانت تتخذه لنفسها في الـكازينو

كان يحرم علي أن التحق بها فاعرف ماذا كان يدعوها الى الشكوى والتذمر فلقد كانت تشكو مر الشكوى وتندب حظها

ومرت بها أيام وهي دائبة السعي في اصلاح هندامها وتنسيق ملابسها حتي أصبحت ولا من يضارعها وكانت تستدين لحسابه ملابسها وعطورها والسيد لا يتأخر في تسديد تلك الديون الطائلة ولقد أصبحت السيدة في كسائها وحليها تفوق الكثيرات من سا كنات مونت كارلو وكانت ترفع بنفسها وتتكبر في مظاهر حياتها ، وتعظم كثيرا جدا حتي التحق بحاشيتها ستة رجال ، من أكبر المتمولين اولئك الحمق الذين تأخذ بعقولهم ابتسامات الجميلات من النساء فيستنيمون لها ويعيشون في ظلها ويهلكون ويموتون من أجلها

وكانت تجري حوادث كثيرة داخل البيت وخارجه ، تثير من غضب الحليم وكنت أري السيد يري بعينيه ، ويسمع بأذنيه ولكنه يتغافل ، ولا يعبأ بشيء ، فكأنه أجهر لا يري شيئا . وكأنه أصم لا يسمع شيئا ، ومداعبات السيدة وأعمالها كانت كلها جلية لا تحتاج الي امعان في النظر ، ودقة في البحث ، وخصوصا مع شاب ، حليق الذقن ، أصفر الوجه أمريكي الجنس ، مملوء الجيب جدا . اسمه « اوسوالد . ب اوجدن »

كان هذا الشاب قد ورث مالا كثيرا عن أبيه الذي مات منذ

قليل من الزمن ، وكان والده أحد نبلاء شارع وول الذي أمضي فيه سنتين كاملتين يشتغل فى تجارة الجلود التي ربح منها ربحاوافرا قدره بعضهم بمليون ونصف من الجنيهات ثم مات فترك مالا وضياعا واقطاعا وتجارة أما الشاب فهاجر الى « الرفييرا » وقد أنفق ردحا من الزمن كان فيه مثال التجلة والاحترام وكان الامهات ذوات البنات يتراميـن على اقدامه رغبة فى أن يزوجنه من بناتهن – وكان يغض الطرف عنهن ولم ينز بحبه وماله الا سيدتي الجميلة الرشيقة . وكان يتخلف اليها كثيرا وتتدلل عليه فلا يزيده ذلك الا حبا لها واقترابا منها

ولقد رأيتها يلبسان أحسن ما عندهما وتتزينان بافخر مايتزين به انسان ، أجدهما معا فى كل مكان ، فى الشرفة ، فى المشرب ، فى مطعم (تينيرو) ، فى الملهى ، فى عربة مستر أوجدن الكبيرة ، . وكان يرسل اليها كثيرا من الهـدايا وخصوصا باقات الورد و نسيد يعرف ويرحب ، ولا يمتنع ، أجل . ان كثيرا من الازواج تهبط عليهم قبـلات زوجاتهم فتعمي عيونهم ، وتصم آذانهم آه يا قارئتي العزيزة لو أتيح لك أن ترى بعينيك ماتجرى به الحوادث في البيوت وماتتمشى به فى حياتها الداخلية ، ورأيت أيضا ماتأتيه

المرأة الماكرة هناك من ضروب الدعارة والفساد لتمنيت أن تكوني وصيفة ، ولفتحت عينك لتري كل شيء ولو كر في رأسك أن كل ماجري داخل البيت تحوم حوله شكوك وريب ولهاتتك أمـور كثيرة جداً . ولرأيت ماتصل اليه البشرية السافلة . وكيف تنحط أخلاق الانسان الي أقل مرتبة من الحيوان ،

وبعد ذلك مضت أسابيع ثلاثة على سيدتي والسيد الاميريكي وهما لا يفترقان ابدا ، اما سيدي فكان يذهب الى نيس ويظهر ان مشاغله هناك كانت كثيرة جداً وفي يوم ما بينما كنت أعد لسيدتي المشد بدرتني بكلمات أحسست من لهجتها انها غاضبة جداً لغضب قائلة :

— ماريت ! انك تذهبين كثيرا الى نيس وتتخلفين هناك زمنا طويلا . وما أظنك الا عثرت بحبيب لك أليس كذلك ؟

فقلت مبتسمة

— لا ، لا ، ياسيدتي . لست أحب أحد ان خالتي جاستين تقيم في معية البارون مونت فاليير . في (فلا مجنان) وأنا أذهب اليها لأراها

ـ حسنا واظن أنك ترغبين أن تقيمي معها وهذا ما أطلبه اليك

ـــ كما تشائين ياسيدتى ، وكما تطلبين

وبعد أن ذهبت السيدة مع مستر اوجدن للغذاء اعددت العدة الى الرحلة ، وذهبت توا الى جاستين ومن ثم سارت بي الى كازينو البلدية الذي امضينا به نحو ساعة نلهو فيه ثم عدنا وقدارتفع القمر ، ونشر أشعته الفضية ، وسرنا فى طريقنا نتكلم في شؤون كثيرة ، ونضحك طورا وطورا نفكر

ومرت بنا شرذمة من الشباب ، أخذت تداعبنا ثم لم تظفر منا بنظرة أو كلمة فذهبت

وبينا نحن نسير لحظت قادمين يتكلمان فاصغيت اليهما فاذا احدهما سيدي ، وكان السيد الآخر عادي الملبس لم التفت اليه الا قليلا . ولم استطع ان اعرفه فى بدء امري . ورايتهما يتكلمان كثيرا بما حال دون أن ينتبها الى فى شيء مما يجري حولهما

كان السيد انجلهارت مشغولا جدا في هذا الحديث حتي انه أخذ يحرك يده بسرعة ويضرب بها على فخذه

ولما اقتربا مني . عرفت ان السيد الآخر هو فرانسيس القائم باعمال المائدة فى ميدان كليفلان

لاأصدق ! . لقداخطأت فى النظر ! ولكن لافهو فرانسيس

بعينه يسير كالند مع السيد انجلهارت . ويخاطبه مخاطبة الزميـل للزميـل وقد ارتدي نظيفا وهو يحرك عصاه ذات اليمين وذات الشمال كأنه ليس بحضرة سيده

وقفت بغتة احملق فيهما ولـكني أسرعت فسرت واحمد ربي فانهما ولما يرياني

وي؟ مامعني ماأرى ؟

جمعت ماأعرفه قبـلا عن ذلك المخـلوق وعرضته أمام عيني عرضت علاقته بسيدتي وسيدى صاحب الامر والنهي ولقد بلغ أنه انكر على نفسه وظيفتـه بالمـنزل فلم يكن خادما بل رفع بنفسه الى مستوي صاحب البيت وصاحبته — ثم عرضت على اذنى قوله لى (عليك ان تسكتي)

ووطدت العزم على ان ارقب كل مايجـرى هناك فأسرعت استميح جاستين عذراً فى اللحاق بالقطار ثم تركتها وسرت اتعقبهما

ولـكن هل كان امر سيدتي لي بعدم الذهاب الى نيس خشية ان اكتشف وجود فرانسيس ؟ !

سار الرجلان يتـكلمان حتي لم يعودا يشعرا بما حواليهما فقد استوعب الحديث كل حواسهما ثم وقفا بغتة واستمرا يتكلمان

بضع دقائق ثم افترقا فرجع فرانسيس وكاد يلتقي بي فاسرعت الى احدى المنعطفات ارقبه منها حتي رأيته يدخل فندقا فبحثته وعرفت انه (الفندق الملوكي) الذى كان يأوى اليه (اوسو الداوجدن) وله فيه جملة غرف

ولما دخل الى الفندق سرت اليه فالتقيت بالحاجب على الباب وسألته باللغة الفرنسية

— اتستطيع ياسيدى ان تذكر لي اسم السيد الذى دخل هنا الآن ! انا خادمة ؟ وسيدتي تريد ان تعرف ما اطلبه اليك

فقال

— السيد ذو القبعة المصنوعة من القش — نعم هو مسيو فرنون السيد اللطيف الذى يلبس القبعة القش ! آه انه المسيو فرنون الانجليزى الغنى

— وهل مسيو فرنون صديق مسيو اوجدن الشاب الامريكى الغنى الذي يقيم عندكم ؟

— نعم صديق مخلص جداً له وهما دائما يركبان الطوموبيل معا

فشكرته وذهبت وسرت الى المحطة وانا افكر فى الامر واتوقع حوادث كثيرة ولكنني لم استطيع ان افهم السر

وعدت الى البيت

ومرت الايام واشتد البرد فلم يعد في مقدور سيدتي ان تصبر على ماتلبس فأرسلت الى (نيس) تحضر ملابس ليلية من (محل منجوم) وامرت ايضا ان يصنع لها قبعة ثمينة جداً

وكان مستر اوجدن يحب ان يرى سيدتى في ملبس خاص فأرسلت طلبا آخر لاحضار مايطلب

واضطربت سيدتي كثيراً واظن ان ذلك نشأ عن خسارتها الكثيرة واظن ايضا ان هناك ازمة متوقعة يتعذر عليها ان تدفع المطلوب منها للفندق

وكتبت الي رئيسة الخدم (جريفتس) فى ميدان كليفلاند رسالة تقول فيها ان بعضا من الناس حضروا الى يطلبون السيد وتظن ان ازمة اقتصادية حلت بالبيت هناك لان القادمين تركوا اوراقا قضائية وانذارات وحراسا قضائيين ايضا وغير ذلك من لوازم هـذه الحال اما فرانسيس او (مستر جننجس) كما تقول جريفتس فقد ذهب الي اخيه فى بورموث وقالت ايضا ان الحالة سيئة جداً في ميدان كليفلاند وان زملائي يحسدنني على مقامي فى الرفييرا بين الازهار والاطيار وتحت الشمس الصافية والجو

اتبع وقرأت الكتاب مرات ثم اعدت قراءته وانا دهشة ... اقيه

ومرت بسيدتي في الاسابيع الاخيرة انواع كثيرة من الحالات فقد كانت تمضى زمنا طويلا جداً امام المرآة تتفنن فى اصلاح زيها وتنميق قدها وقالت لي مرة

- ماريت اخبريني الحقيقة الآن وانا اصلح من ملابسي جد الاصلاح واقوم زينتي فهل اجيد الصنعة وما رأيك في زيي هذا وفى شكلى قولى كل شيء ولا تكتمي عني خبراً

- كل شيء حسن جداً ياسيدتي ولم اجد انجليزية غيرك تظهر تماماً كالباريسية في آخر مودة

وكانت هذه هي الحقيقة البعيدة عن التملق والرياء فان سيدتي حسنت من الزينة كل الاحسان فاذا رأيتها رأيت جمالا يفوق جمال كثيرات من السيدات

ورأيت فرانسيس بعد اسبوع تقريبا بجلس بقهوه فى نبس ، وكان معه سيدتي ، وهو يدخن ، ويشرب نخبه ، بينا سيدتي تتناول الطعام مع مستر اوجدن في مطعم سيرو او فى غيره كما تعودا

وفي ليلة بينا كنت ارجل شعر سيدتي وهي فى ملابس النوم

بهمس سيدي وعلى وجهه غبرة الاسى ترمقه نترة الهم وقال :

— أريد أن أحادثك على انفراد ياعزيزتي أنا . . . أنا . .

ثم انحنى فحملق في وجهي

وقالت سيدتي

الآن يمكنك أن تذهبي فحصوة بالسلامة

فوضعت (الفرشة) جانبا وودعت سيدي وسيدتي وذهبت مسرعة

وسرت قليلا في البهو ، ثم عدت أدراجي ، أمشي بخفة ، حتى وصلت الى باب الغرفة ، روضعت أذني على ثقب مفتاح القفل وأخذت اسمع مايدور بداخلها .

— أن الامر كله بيد فرانسس ولكن هذا لايدوم كثيراً.

— خبريني، أتفهم ماربيت شيئا؟

فابتسمت سيدتى ثم قالت.

— لا، لايمكن ذلك أبدا، انها فتاة طيبة القلب، انها لاتظن سوءاً قط

— ولكنها ترى اسوالد معك كثيرا، وفرانسس ينصح بإبعادها حالا، فاعطيها خمسمائة فرنكا ومريها بالخروج

ـ لا، لا افعل شيئا من هذا، فان ماربيت كنز ثمين جداً، لاحظ انها جميلة وقد يمكن أن ننتفع بها يوما ما

ثم خفت صوتها حتى أصبح همسا، واجهدت نفسي فلم استطع أن اسمع شيئا ما

ماذا يقصدون بهذه المناورات الغريبة؟ ولكن لاينزعج خاطرى قط فقد مرت بي ـ وأنا خادمة ـ حوادث كثيرة جداً، غريبة فى بابها، وشاهدت أمورا أغرب، وبعضها دون غيره هو الذي ساقني الى كتابة مذكراتي هذه

وفى عصر اليوم التالى، فى نحو الساعة الثانية ارسلت الي سيدتي فحضرت اليها وقالت لى:

ـ اسمعى ، ماريت اريد منك أن تذهبي حالا (الى نيس) وتبحثي عن مستر (اوجدن) فى (الفندق الملوكى) ، وانتظرى هناك اذا لم تجديه فاذا حضر فاعطه هذه الرسالة في يده وحذار أن تسلميها لغيره وربما يعطيك ردا لها ويجب أن تجديه قبل العشاء أفهمت ؟

ـ نعم ياسيدتي

وأخذت الرسالة وذهبت فلبست ملابسي وسرت توا الى المحطة وأخذت القطار الى نيس آملة أن أرى فرانسيس هناك ولكنه لم يكن

ولم أتعب كثيراً في مجابهة الفتى الامريكي فقد التقيت به جالسا على مقعد هناك في حديقة يكلم عجوزا ويباحثه في عمره ويدخن ولما رآني قال :

ـ ماريت اخبريني كيف حال سيدتك ؟ أنني لم أرها منذ ثلاثة أيام

— في صحة وعافية عندى رسالة لك ياسيدي

وتناول الرسالة وفض مظروفها ثم مر بها ولحت وجهه يتغير قليلا قليلا حتى أصبح أبيض كالورق

ـ لا لا شيء خير

ثم حول وجهه الي وجعل يقول : ـ ماريت تعالي أنا أريد أن اتكلم معك على انفراد

وسار فتبعته حتى اذا لم يجد من يسمعه قال بصوت أجش

ـ اخبري سيدتك انى أريد أن أراها الليلة وسأنتظرها فى الساحة السفلى في كازينو مونت كارلو فى الساعة الحادية عشرة وحذار أن تخبريها ذلك بحضور مستر انجلهارت أفهمت ؟

ـ نعم ياسيدى

ثم ناولني قطعة ذهبية من ذات العشرين فرنكا وتركنى

فلما دخلت سيدتي غرفتها ليلا أخبرتها الخبر فاستشاطت غضبا ر [illegible] وجهها وقالت :

ـ [illegible] أن التقي به ؟ أبلغ [illegible] الحد الى هذا ! [illegible] هؤلاء الثراة الا [illegible] أناس [illegible]

[illegible] سيدتي أو لم تعلمي أنا الذى عرفته بعد [illegible] الساعة لاولى [illegible]

مع السيد كثيراً جداً

وفي الليلة بينما كنت اتناول العشاء مع زملائي وصلني أمر بالمثول بين يدى سيدي فاسرعت اليها فقالت :

— يجب أن تعدي معدات السفر حالا فسنعود الى لندن في قطار الساعة السابعة والدقيقة أربعة وعشرين من صباح الغد

فجرى بخاطري أنها اختلفت مع أوسولد أوجدن وتشاحنت ومن أجل هذا اعتزمت العودة الي بيتها

وفي الصباح سافرنا وكان الطريق بعيدا عن باريس ولما وصلنا الى ليون أشتريت عددا من أعداد جريدة (ذى دبلي ميل) وكنت مع سيدتي وسيدي في (الدرجة الاولي) لان القطر لم يكن به (درجة ثانية) وقرأت في الصحيفة العبارة الآتية .

(أعلن أمس في نيويورك مستر شارلس هـ. دومينيك رئيس مصلحة سكة حديد فيليد لفيا أن ابنة من جلور دومينيك سيتزوج من مستر أو سوالد. أوجدن مس نيويورك وهو ابن تاجر الجلود المعروف الذى مات وترك لابنه خمسة ملايين من الجنيهات)

فامسكت أنفاسي قليلا، ورأيت سيدي نائما في ركن العربة فناولت الجريدة الى سيدتي وأشرت الى الفقرة، وبعد قليل قالت

ـ نعم الآن عرفت الحقيقة

وسكتت طويلا ، ونظرت من النافذة ، مضطربة مفكرة

ولما وصلنا الى ميدان كليفلاند ، وجدنا فرانسيس فى انتظارنا ففتح باب الغرفة ، وأقبل يحيي سيدي وسيدتى باحترام كأنه لم يرهما عند سفرهما من كليفلاند ولكن كانت مخاوف سيدتي تتزايد ، وقد جعلتها تشكو

وكان سيدي متكدراً جداً ، يظهر أمامنا بوجه مكفهر ، ويزوره ناس فيختلى بهم في حجرة مكتبه ، بينا سيدتي كانت تستقبل ضيوفا كثيرين وتصلها رسائل برقية في كل ساعة

وبعد أن مر بنا أسبوع كنت فى زيارة بعض زميلاتى فى حي هو كستون ، فى ليلة ما ، وبينا أعود الى البيت رأيت رجلا بالقرب من مصباح فى ميدان كليفلاند ، بالقرب من المنزل وهو يتباطأ في سيره

ولما اقتربت منه رأيته صديق سيدتى مستر أوجدن ، ورأيت بالقرب منه ذلك الرجل المحوز الذى رأيته معه فى نيس

ولما اقتربت منهما وعرفني مستر أوجدن ناداني قائلا

ـــ ماريت ، ألا تذكرى أنك التقيت بي ورأيتني ، ولكن

أخبريني ، هل سيدتك بخير ؟ وهل فى عزمها ان تبرح البيت الليلة ، أتظنين ذلك ؟ فقلت

ـ سيدتي بخير . ولـكن عنـدها ضيفان لتناول العشاء معها الليلة وستبقي طبعا بالمنزل

فتنهد ، وظهرت على وجهه علامات الاسي

ثم وضع قطعة ذهبية من ذات العشرين فرنكا فى يدى وقال

ـ لاتقولى كلمة عني ، ألست فاعلة ؟

فتعهدت له ان أفعـل ماطلب ، وتركني وذهب الي صاحبه وقد كان فى انتظاره ، ووقفا في الظلام

وبعد أيام قليلة أمرت سيدتي باحضاري اليها وقالت لى

ـــ أنا انتظر مستر أوجدن الليلة فى نحو الساعة التاسـعة ، فان فرانسيس خرج الليلة

فقلت احدث نفسي ، خرج الليلة !

وكانت سيدتى فرحة جدا فى تلك الليلة تتباسط فى الحديث مع سيدي ، وتضحك كثيرا ، وقد ذهبت الى البيانو واخـذت تعزف عليه ، وبعد ذلك تعشيا معا ، رشربا نخب بعضهما

وفي نحو الساعة التاسـعة ضرب جرس البـاب الخارجي ،

فاستقبلت الشاب السري الامريكي وذهبت به الى حجرة الاستقبال التي كانت سيدتي تجلس فيها في انتظاره لابدة أحد من ماعندها من الفساتين) وردائها أجمل الحلى فحني رأسه قليلا عند دخوله وأردت ان أذهب ، فقالت :

ـ لا ، ابقي هنا يا ريت

فقال الشاب متعجبا

ـ ولماذا ؟ [illegible]

فقالت

ـ نحن لا [illegible] كل [illegible]

من صداقة

فقال مبتسما

ـ عفواً ولكن [illegible]

تثقين عاريت ، [illegible]

المسئلة [illegible] كذلك ؟ [illegible]

معاملتنا ، وقليل من [illegible]

ـ عزيزتي [illegible] اني في [illegible] ، فلماذا [illegible]

الى بيتك ؟ أني [illegible] وعنا سيكون بحثه أدق وأوضح

لو كان فى غير هذا المكان ، وكارادتك دعينا ايلا تتباحث فى موقف الحالي فان زوجك تمكن بحيلة غريبة جدا من الحصول على الجوابات التى أرسلتها اليك ، وهو يبحث اليوم فى موضوع الطلاق منك ، فى الوقت نفسه فانه سلم نص هذه الرسائل الى مس دوميديك ، أبدى كدلك ؟ انه عمل سيء جدا ، ومشين له

فصرخت سيدتي قائلة

— مشين له ! ألم يعد شيئا لي ؟ ، وأنت أيحسن بك أن تتزوج ؟ !

فتغير وجه مستر أوجدن . واستمال قليلا ثم قال :

— أما سأل زوجك خمسة آلاف من الجنيهات ثمن هذه الرسائل —

— نعم وأظنك حضرت هنا لتدفع هذا المبلغ . أو لتقنعني بدفعه وبذلك تنتهي الرواية . وتزول منك كل متاعبك . أجل عمل مؤلم لى . ولكن أبحث عما جري

فقال ببرود

— أما أنا فلا أدفع شيئا أبدا

فسكتت سيدتي قليلا ثم قالت :

— يحسن بك أنت ان تبلغ هذا الخبر الي زوجى

ثم أسرعت الى الجرس وضغطت عليه وفى الحال دخل سيدى جوتقابل الرجلان بفتور ، وقالت سيدتي كل الحديث وذكرت ان مستر أوجدن رفض الشروط المعروضة عليه بخصوص الرسائل فاستشاط سيدي غضبا وبعد أن سبه وشتمه ، قال انه سيسرع ليرسل الرسائل الي خطيبته

فتقبل أوجدن الحديث ببرود وأخرج من جيبه سيجارة وبدأ يشعلها ولم يقل شيئا

وبعد أن هدأت ثائرة سيدي قليلا قال مستر أوجدن له :

— سيدي أرجو أن تهديء من ثائرة غضبك وتطمئن الى ذلك بعض الاطمئنان فانى انا الذي سأقدم الرسائل الى خطيبتى

— ! لا انا ! ولماذا ؟

فقال مستر أوجدن مبتسما

— دقيقة واحدة ياسيدي ، اما انا فقد اقرضت زوجك أكثر مما تطلب مني لتظاهر بما ظهرت به وسأطالبك بهذا المبلغ فتدفعه لي فى اثني عشرة ساعة غدا والا فسأطلب القبض عليكما

— ماذا ؟ اماذا تعني بما تقوله !

— أعني انك تعودت أن تصيد طيرا فيما مضي ، ولكن

أعلم أنك اخطأت هذه المرة ، فانا طير مسم ، فارسل الوسائل الى مس دومينيك كما تريد ، وستتسلى بها قليلا لست أنا اسوالد أوجدن الذي تزوج فى نيويورك . وقد ظننتم انه في مقدوركم أن تقوموا بتمثيل آخر فصل من الرواية فلتدع انت ماأخذته امرأتك

وتبادل سيدى وسيدتي النظرات

واتم اسوالد حديثه قائلا :

— والآن . فيجب ان تحضروا مبلغ الخمسة الآلاف الجنيه قبل ظهر غد . والا فسأقود كما الى مخفر البوليس

فأسرعت الي البيت لأتناول أجري .وهناك وجدت رجلا قال لي

— ان السيد والسيدة هربا ليلا وتركاديونا كثيرة هنايطالبان بها

البحث الثاني
(منزل لادي اللاردبس)

٩ اكتوبر

تمر أحداثنا بماثلات غريبة في أطوارها ، غريب نساؤها ورجالها ، لهذا أجيء اليوم بأحدي هذه الحوادث الغريبة المدهشة فعندي أخبار تدهش عن بيت اللورد اللاردسيس ، اذ بعد أن تركت ميت مدام انجلهارت باسبوعين التحقت بخدمة لادي اللاردسيس ، التي تعيش مع زوجها سير هيوبارت اللاردسيس في ميدان برانكسوم

كان البيت جميلا يشابه احدى بيوتات فرنسا ، تحيط به الحدائق من كل ناحية وبه أثاث ثمينة ، وبه خدم وحشم ، وعدد غير قليل من الطباخين ، وستة من البستانيين باجور قيمة

وقد وصلت البيت في صباح يوم ، وقمت بوظيفتي الجديدة والتقيت بالسيده الجليلة في حجرة ملابسها ، وكانت حجرة جميلة وكانت السيدة ذات قوام معتدل ، ووجه جميل ، وصوت حسن

وكان من الضروري الآن أن أنظر نظرة واحدة في البيت جميعه فألم بما فيه ، وخصوصاً إذا ما نظرت الى حجرة السيدة الخاصة بها ، اذ ذلك أستوعب كل الحوادث التي بالمنزل وأكون عندي فكرة عنها ، وقليلا ما أخطئ ، ولقد جربت كثيرا جدا وعلمت أشياء عن العائلات الكبيرة الانجليزية ، وعن المرأة الانجليزية النبيلة وحياتها وحبها وبغضها وأن بين الحديث القديم تجاذبا تتذبذب فيه الحوادث جملة ونظرة واحدة دون غيرها تجلي من ورائها انه كان لو صرلى صحة سرت في البيت جميعه

وفي نظره الخادم [illegible] الداخل [illegible] عن الحقيقة ، فاني لا أقرأ فيها [illegible] لآتيه .

« إن هذا البيت [illegible] في كل [illegible] الداخلية فلا تنفي أن ستيقين به [illegible] »

لهذا كنت متأثرة [illegible] نظرة [illegible] بها عرضا في طريقي الى [illegible] التي [illegible] فيها [illegible] أسرارا خفية تحيط بها

جدران هذا البيت ،

كانت لادي اللاردسيس ساعة دخولى جالسة الى مكتبها تكتب جوابات ، وبعد دقائق كنت استوعب فيها كل ما في الحجره ، رفعت السيدة رأسها ونظرت الى ، وقالت :

ـ آه ، ماريت ! احضرت ؟ يظهر أنك تركت لندن مبكرة أليس كذلك ؟

ثم ابتسمت

وقرأت في عينها حديث ماضيها المملوء بالغبطة والسرور ، فهل سمح لك الحظ أن لحظت مثل هذا في عينى أمرأة ؟ وللماضي أثر يتركه على الانسان يظهر جليا في عينه

ثم قامت وبدأت تفحصنى جيداً ، تبحث في وجهي وتنظر الي منكبي ثم تتكلم لنفسها ، قالت .

— أجل ، لا بأس ، انها ذات ملامح حسنة ، انها ترضيني كل لرضاء ، حسن حسن جدا !

وسكتت قليلا ثم قالت .

— أيعيش أصحابك ياماريت في فرنسا

فقلت

— نعم ياسيدتي ، ف ليون

ثم أخذت تقلب نظرها في ، وتمر به على كل ناحية فى جسمي وقالت لنفسها

— نعم أنا جميلة

وعادت تقول وعلى فمها ابتسامة

— أنا لا أحب إلا الفتيات الجميلات ياماريت انهن مسرات لى مبهجات لنفسي

وكنت أحاول أن أقرر ما كان بعض سيداتي السالفات يقلنه عني من أني غير جميلة — وكان يقول بجمالى زملائى من الرجال فقط .

استمرت السيدة تفحصني جيدا ، ولحظت ملابسي السوداء فسألتني .

— اهذه أحسن ما عندك من الملبوسات ؟

فاجبتها قائلة .

— أجل ياسيدتي

— سأنظر في الأمر

وعادت تبحث في ملابسي ، فوجدت بعضها وقالت

— لا ، يامربيت ، لا اسمح لك ان تخرجي هكذا ، تعالي .

وذهبت الى خزانة ملابسها وأخرجت بعضها ثم أمرتني بحملها

ن حجرتي

— ليس من بأس ، فان بعضها يحتاج الى الاصلاح وطبعا فان

هذه الملابس ستـ ون ...

فشكرتها وأخذت أ ت في جملة ما عطتنيه بين ملابس

... ب وغيرها . ... عطرية .

ورأت سيدتي دهشتي ...

— انك ترين اني لا أقتني الا الحسن ولا أحب الا الحسن

... ب البنات الا ... جميلا ، وأحب كل شيء جميل ،

... لت

— انك ... ... بشكرك

و ...

— ... قت ... ... سيدة طيبة .

... ... نظري أ ... ... أنا أريد أن أرك

.

...

... ولتي ... ...

لأن السيدة حالت كثيراً دون ذلك وبدأت تشرح لي سبيل حياتها وما تحبه لنفسها ثم قادتني الى غرفة نومها. وفتحت لى خزانات ملابسها وارتني قبعاتها. وقالت

ـ كل امرأة سواء أكانت سيدة أم خادمة يجب أن تلبس جميلا

ثم قادتني الي غرفتى الخاصة

وفى هذه الليلة لبست السيدة ملابسها. واعدت نفسها لحضور حفله بخصوصية

وعلمت بعد أن سيدي كان فى مهمة سياسية في المستعمرات البريطانية في جنوب أمريكا. وعاد تعبا. والتحق باحدى الوظائف هنا بماهية قيمة.

وقابلت سيدى فى هذه الليلة، فى ناحية من نواحى المنزل وكان حسنا في جملة زيه. وشكله.

ونظر الى بدهشة ولكنه لم يقل شيئا.

ومر بعد ذلك أسبوعان. وكنت اذا ذكرت السيدة فى حجرة الخدم. ظهرت علي وجوه الحضور علامات السخرية، وكنت أقول لابد أن يكون فى الامر سر، ولكنى لم أستطع أن اصل اليه.

وكان يحضر الى البيت في كل صباح اس كثيرون ليتناولوا

طعامهم وكان مشهورا عن السيد والسيدة الكرم

وكانت السيدة تحاسنني كثيرا جدا • وكان السيد كذلك ويستقبلني بالحسني أيضا .

على أن الدهشة تملكتني كثيرا • ولم ازدد الا حيرة • ولم ازدد الا شكا في امرهما

وكانت السيدة تحاول أن تتكتم حوادث كثيرة عني • ولا ادرى لماذا

وفي يوم رأيتها صفراء . تملكتها رعدة شديدة وامضت نهارها كله في البيت بالقرب من الموقد . وقد تلفن اليها (تكلم معها بالتليفون) . كثيرون يسألونها عن صحتها وقالت :

ـ ماريت . تعالى الى اريد أن احادثك

فقلت

نعم ياسيدتي

ـ ماريت . لقد تأكدت صدق خدمتك غير اني لا أدري الى اليوم صداقتك لى . ولا أدري أيضا ما رأيك فى

ـ سيدتي . ليس هنك من يضارعك فى معاملتك الحسنة لي . انك طيبة القلب جداً

ـ انني أحبك ياماريت واراك لا تهتمين كثيرا بالرجال انك لتجدين الخادم هنرى كثير الشغف بالفتيات وأنا أجدك تجتهدين لتبعديه عنك . وايضا فانك لا تنظرين الى سيدك

ـ ارجو ياسيدتي أن لا يكون هذا تغريرا بي

ـ وانا أثق بك أيضا فارجو أن تكوني عند هـذه الثقة فتكتمين سرى . ولا تبوحين به لاحد

ـ اعدك ياسيدتي ذلك

ـ لهذا أريد أن اكلفك بعمل هذا النهار . عمل يحتاج الى الثقة كلها فأذهبي الى البير — وفي نحو الساعة الثالثة خذى مقعدا في الناحية التي تشرف على الملعب . وخذي هذا الكيس . وهناك سيعرفك شخص . وربما يعطيك رسالة خاصة . أو يعين موعد لقاء . فهل أنت عند ثقتي بك ؟

ـ نعم ياسيدتي . ثقي بي كثيرا جدا ـ وسأعمل بما تأمرين وناولتني الكيس

وذهبت الى البير . وجلست فى المقعد الذي عينته لي واظهرت الكيس . وهبت ريح وراقبت السائرين واحدا واحدا بغير جدوى وتمشي في فؤادي الخوف . واخيرا جاءت سيدة وجلست بجانبي

ثم قالت همساً :

— أأنت خادم مدام اللاردسيس ؟ الفتاة الفرنسية التى شُغِفنا بها ؟

فقلت لها

نعم ياسيدتي

وقالت

ـ ايمكن أن تبلغى سيدتك أن مستر شارلس يطلب اليها أن تفي بوعدها وسينتظرها فى الساعة التاسعة فى المكان الذى تعرفه ويشدد فى طلبه . والامر مهم جدا

فسألتها قائلة

ـ وهل هذه هي الرسالة ياسيدتي ؟

ـ نعم أخبريها بذلك ايتها الفتاة وستفهم ما اعنى

ثم ابتسمت تلك العجوز الشمطاء . وبعد نصف ساعة كنت وصلت الى البيت والتقيت بالسيدة.وهناك بلغتها الرسالة فاصفرت حزنا

ـ اذهب ليلا ! لا لا . انا لا أقدر . انه لامر مخيف . مرعب ! لماذا . لا . ماريت اذهبي ات اليه . وقابليه . واحييه

اكراما لي

ـ أنا لا أفهم ما تعنين ياسيدتي

ــ المسألة بسيطة . ان هذا الشاب يحب الجمال ولا أغار أن اهتم بك

ـ سيدتي ... !

ـ نعم انك لاتستطيعين أن تفهمي شيئا ! انى وهذا الشاب صديقان مخلصان وسير هيوبارت لايحسن أن يعرف شيئا ، اتفهمين ؟ آمل فيك كثيرا ياماربيت ، أن حياتي بين يديك ـ فاذا علم شيئا من هذا فاذلني أن الشاب حبيبك أنت وانه جاء من اجلك ، وحضر الي هذا البيت ليزورك ، اتسمعين ؟

ـ وبهذا الاعتراف تطمأنين على سمعتك ؟ وى!..!

فطأطأت السيدة رأسها ، ولاحظت في عينيها الاسي فكأن رسالة هذه العجوز كانت وعيدا

وفى نحو الساعة التاسعة ليلا . قصدت ذلك المكان . حيث تشرق فيه الشمس نهارا . وحيث جماله الفياض بضوء القمر ليلا حيث يسير فيه المرضى بالسل بالنهار تحت أشعة الشمس يستنشقون الهواء . ليروحوا عن انفسهم وحيث يسير المحبون

في الليل يتناجون غرامهم في ظل الانوار الكهربائية

وجلست هنالك في مقعد . اداعب منديلا في يدى وبعد عشر دقائق . اخذ شاب . طويل ذو هندام لطيف دقيق . ينظر الى بدهشة . ثم جلس بالقرب مني . وكان في سني تقريبا وعنده ادب جم

قال

ـ اظنك ماريت . اليس كذلك ؟

فاجبته الى سؤاله . واخبرته انى قادمة برسالة من السيدة باللقاء في الساعة العاشرة من ليلة الغد في مكان غيرهذا نتفق عليه

فابتسم ابتسامة سقيمة . ومرت به دقيقة كان يفكر فيها ثم نظر الى بعينه نظرة مريبة

قال انه مسرور بلقائي . وانه يحب الفرنسيين والفرنسيات وانه سمع بى . ويظن اني مسرورة بالمقام مع السيده

وأخيرا سألنى ان أسير معه بضع خطوات . وقد فعلت . أما هو فقد كان سيدا حلو الفكاهة . العشرة طيب ولكن أليس غريبا انى أنا ـ الخادم ـ أسير مع حبيب سيدتي ؟ حقيقة ان بيت اللاردسيس غريب

سرنا طويلا بين الحدائق . وكان كثيرا مايضغط على يدى ويحدثني

لقد سافر طويلا هكذا كان يحدثني عن نفسه وطاب لقلبي هذا الانسان الشاب ـ ربما أكون أحببته ولكنني أنا خادم ـ لقد قال لي ان اسمه شارلى شو ـ وكان يعيش في لندن وينتقل منها في بعض الاحيان ويحسن الكلام بالفرنسية

قال

ـ آمل ياماريت ان تكوني خادما صادقة لسيدتك لقد قاست كثيرا مع خادماتها ، وآخر واحدة أثارت غضبها وغيرتها أما سير هيوبارت فانه انسان . وقليلون هم الذين لايرتاحون الى الوجوه الجميلة . والسيدة اللاردسيدس كثيرة الشغف بالفتيات الجميلات

ـ ليس هذا من العدل فى شيء مادام السيد سريع التأثر

ـ حقيقة . اذن الوداع . ياماريت . مع السلامة اشترلك قفازا

ثم اعطانى قطعة من الذهب

وذهبت الى البيت واخبرت السيدة بكل الحديث فروحت

عن قصبا

وفى الليلة التالية . كان السيد المسكين وفي حضرته بعض أصحابه فى (حجرة الضيوف) يدخنون . وذهبت السيدة مبكرة الى فرشها وسرعان ماعادت ثانية ولبست رداء اسود الى الشارع ومضي من الليل بعضه وكان (بواب البيت) قد أغلق بابه وذهب ليستريح . وعدت ففتحت الباب وجلست انتظر عودة سيدتى

ولما عادت . وصعدنا الى حجرة ملابسها . لاحظت فى عينيها حمرة وانتفاخا . وكانت مهتاجة تضطرب اضطرابا وكأنها كانت تصرخ . لماذا ؟ لاأدرى - هل تشاجرت مع مونشيرشارلس؟

ومرت ثلاثة أسابيع . لم يحصل فيها ما يستحق الذكر ولم تذكر سيدتي فيها اسم مسترشو . ولكنى كنت أرقب ضآلتها وشحوب لون وجهها . وكانت تمر بها ساعات طوال فتراها جالسة تنظر الى الموقد بغير ان تنطق بكلمة وطبعا فانه لابدانها كانت تتألم كثيراً جداً

وذهبت مرتين الى لندن . ولم يعلم بذلك السيد - لماذا . . ؟

وفي عصر يوم كانت السيدة ذهبت فيه مع السيد الى الخارج ولاحظت ان مفتاح خزانتها الخصوصية قد تركته في درج هناك

وكانت أخبرتني ان بهذه الخزانة كل أسرارها ـ وانه ليس هناك مفتاح يصلح لها ـ وهنا ثارت في نفسي غريزة حب الاستطلاع فأسرعت وفتحت الخزانة . وبدأت في البحث في داخلها

أما ماعثرت به هناك فجملة من الجوابات القديمة ، وضعت حزما واحكمت الربط ـ وكذلك وجدت بعض الهدايا وصورة لمستر شو رسمت منـذ سنين عديده ـ ولمست يدي قاع الدرج فوجـدته أجوف يدل على داخل له وهنـا بدأت أفكر في تلك الاسرار التي تحتفظ بها السيدة في هذا المكان

وأسرعت فأخرجت الدرج وقلبتـه بطنا لظهر . وأخرجت مافيه كليه . ورفعت الغطاء . فوجدت مجموعة من الحلى الذهبيـة والماسية ـ ووجدت حزما ملفوفه بجرائد . ففتحت واحـدة منها فوجد بها أحجارا كريمة ثمينة تختلف في الحجوم والاثمان

ولما أخذت هذه الاشياء جانبا . ووضعتها في يدى

وجدت مسدسا ، غريبا في صنعه ، ووجدت رصاصه غريبة أيضا لم يعهد بي ان رأيته فيما مضي

واكاد أظن ان هذه الاشيـاء كانت ثمره اللصوصية نفسها ؛ فان بعض الاحجار كانت انتزعت من امكنتها من الحلي

أكانت السيدة الجليلة زوجة الوزير لصة جواهر ؟

وأخذت عقداً فحليت به جيدى وذهبت الى المرآة وكان ماسه يلمع رغم ظلمة الحجرة، وانا يكاد يأخذ بي الغرور بنفسي فأتدلل ماشئت

ولكن لمن كان هذا العقد ؟

وبينما كنت في عملي احملق في العقد ، سمعت صوت سيدتي تخاطب السيد ، واذ ذاك وقفت كالمأخوذة ـ وكانت تصعد السلم ببطء لانها مريضة بمرض القلب ، وتمكنت بسرعة الخاطف أن ارجع كل شيء الى اصله ثم أغلقت الدرج

وجلست بالقرب من الموقد واعتمدت رأسي بيدي، واغمضت عيني وتظاهرت بالنوم

ولم تمض ثانية واحدة بعد ذلك حتى قدمت السيدة ودخلت الحجرة ولما رأتني قالت .

ـ ماذا ! ماربيت ! نائمة ! انت كسلانة . لقدظننتك تطرزين

فتحركت قليلا وفتحت عيني بدهشة وقفزت من مكاني دفعة واحدة كأني بي مسا وقلت

ـ عفواً مولاتي ! انا . انا مريضة

فتركت السيدة صعدا . وقمت الي عملي اساعدها في خلع ملابسها

وبسرعة ما . وقعت عينها على المفتاح . وحولت نظرها الى كأن لم تفعل شيئا . ثم تناولته ووضعته فى جعبتها

ومن ثم بدأ يتسرب الي الشك . وتملكتني الرغبة فى اكتشاف ماتجرى به الحوادث هنا فى بيت اللاردسيس

وفي يوم ماكان كل من السيدوالسيدة في حديث . يكاد يكون تشاحنا . وسمعت كلامهما

قالت السيدة بغضب

ماذا ؟ انك تزوجت منى لمالي ! لماذا تكثر من مدح زوجك الاولي فى حضرتي ؟ شيء مؤلم . مؤلم . جدا ياهو بارت انا لا أدري وكيف كنت تعيش بغير ثروتي ! . ولماذا لم يسوكوك الى محكمة المفلسين منذ زمن !

وتشاجرا كما يفعلان فى بعض الاحيان ، وكانا يخلطان الجد بالهزل — وكل وصيفة فى مقدورها أن تعرف كل سر العائلة بسرعة والكثيرات من السيدات لهن ولع بحاجة خاصة يمتزن بها

فبعضهن ولعات بالنظافة ، والبعض يلبس الحلى ، والبعض بالروائح العطرية ، والبعض باستنشاق الهواء العليل والتنزه ، ولقد كانت سيدتي والعة كل الولع بتنميق ملابس خادمتها ، وتنسيقها ، وكن اذا ذهبن الى المدن حسبتهم الناس السيدات

وكنت في كل يوم التقي بسيدتي في حجرتها الخاصة لالبسها ملابسها او أعقها لها ، او أطلي وجهها ، أنظر الى خزانتها وكلي دهشة

وفي ليلة ما أرسلتني في نحو الساعة الثامنة الى (ذى أركيد) لاقابل مونشير شارلس هناك

وكان لابسا ملابس دقيقة ، نشطا ، رسيقا ، قابلني فحياني تحية حسنة ، ولما تركنا المكان وسرنا فى طريق مظلم ناولني ملفا صغيرا من الورق لاوصله الى سيدتي ، ولاحظت أن بداخله شيئا صلبا

وسألنى جملة اسئلة عن سيدى ، وكانت لهجة حديثة غريبة لاأستطيع وصفها

وقال

— ماريت ، انا اريد أن أتخذك ثقتي وموضع سرى ومسألتى أن مدام لم ترض ان تراني اليوم وقد أنانتك عن نفسها والآن أريد أن اراها ، أريد أن أراها ، أريد أن أتكلم معها فى مسألة هامة ،

فهل لك أن تساعديني ؟

— اساعدك أنت ياسيدى ؟ وكيف يكون ذلك ؟

— اذا لم تحضر لادي اللاردسيس لمقابلتي ، فيجب أن أذهب أنا للقائها ، وسأكون بالقرب من الباب الخصوصي فى منتصف ليلة باكر ، فيجب أن تكوني هناك ياماريت لتقوديني الى حيث سيدتك

— لا ياسيدي ، مستحيل

فابتسم قليلا وأخذ يلاطفني ثم قال ،

— لا ، يحسن أن تلبي طلبي هذا ، يجب أن أراك فى الساعة الثانية عشر هناك

— ذلك لا يكون اذا عارضت السيدة

— لادى اللاردسيس لا تريد أن تلتقي بى فى خارج بيتها لانها تخشي أن يراها أحد ، ولكنها لا تعارض اذا التقت بي في البيت ، على أن تتخذى الحيطة فلا يعرف سير هيوبارت شيئا من هذا

ـ ذلك حسب ماترتأيه السيدة

وضحك ، ثم امسك يدي وضغط عليها ، ثم افترقنا وأسرعت

الى السيده ، وناولتها الربطة وما أظنها الا هدية ، نعم هدية يالأكيد ، فقطبت وجهها قليلا

أما أنا فقد كنت فى موقف كله خطر ، ولانه لم يكن يظن أحد أن لمدام اللاردسيس حبيبا

وفى الليلة الثالثة ، ولما نام كل أهل البيت جميعا ، ذهبت الى الباب الخصوصي ، فأعددته للفتح ثم فتحته ، ودخل مونشير شارلس ومشي فى الطريق الموصل الى حجرة مدام اللاردسيس الخاصة فلم يسمع به أحد ، وهناك التقي بها فاحتفت به . واقبلت نحوه مملوءة بالحب وضمته الى صدرها وأخذت تقبله

وسرت اخترق الطريق ماشية على سجادة كثيفة كانت هناك ووقفت في ناحية مظلمة اعد نفسى لحماية السيدة اذا خرج السيدمن حجرته صدفة وكان السيد يسكن فى الناحية التي تقابل هذه من المنزل

مسكين يامونشير !

الحقيقة أن سيدة المنزل لاتستطيع أن تعمل شيئا بغير مساعدة وصيفتها وانها لتعلم بكل سرها وجدير بالسيد الحازم ان يتخذ من خادمة زوجته صداقة يستعين بها في تعرف ماتجرى به الحوادث فى منزله فى غيبته

وعم المكان سكون . وشملته وحشة . لم اسمع فيها دقات الساعة الشيقه ، من القاعة التي تقابل مأمنى ، وبعد ان مر بى ربع ساعة تقريبا سمعت همسا في القسم الاسفل من البيت ، واطللت من حاجز السلالم ، ثم دهشت ، اذا وجدت بصيصا من ضوء مصباح ورأيت رجلان يمشيان خفية ، ويتحدثان همسا وكأنى بهما قد دخلا من الباب الخصوصي

وأسرعت الى حجرة السيده الخاصة حيث تقيم بها وطرقت بابها ، وقلت بصوت ضعيف .

ـ أنا مريت

وانزعجت سيدتي ثم أسرعت الي الباب وفتحته وسألتني ماذا أريد .

فاخبرتها بحديث الرجلين ، وعلت وجه مونشير شارلس صفرة الموت

ـــ وقال

ـ اذن لقد رأياني ! وهما الآن هنا ؟ ربي لقد هلكت !

فقالت سيدتي

ـ اسرع ، اهرب ، اهرب من السلم الخلفي

ـ نعم ، يجب أن لا يقبضا على ، انهما يتبعاني من باريس ،
لاحظت ذلك اذ كنت أعبر البحر من كالية ، ويحسن أن لا يمسكا
بي هنا

فقلت

. يقبض عليه ، أهؤلاء من رجال الشرطة ؟

فقالت سيدتي

ـ أظن ذلك ياماريت ، أما أنا فسأذهب اليهما وأخاطبهما
بينما تذهبين أنت وتقودين مستر شارلس من الطريق الآخر
الى الخارج

وكانت هذه الدقيقة دقيقة رهيبة جدا ، اذ فى نفس هذه اللحظة
يمكن أن يستيقظ سيدي على صوت سيدتي

وسرت قائدة لمونشير تشارلس ، أمشى خفية فى الظلام
الحالك بغير صوت ما

وى ؟ اننا التقينا فجأة بالرجلين . وقد صعدا عن طريق السلم
الذي تنزل به ، ثم رفع احدهما المصباح الى وجهينا .

وقال الاكبر منهما

أنا ضابط بوليس ، اقبض عليك الآن ياجورج جالمين لذي

تسمى قسك ب (شو) ، وذلك بناء عن أمر صدر الينا من باريس لانك متهم بسرقة مجوهرات البارون فويللون في فرسايل ، وكذلك متهم أيضا فى سرقات أخرى

فقلت

ـ أسكت ؟ يا آلهي ! اخفض صوتك والا أيقظت سير هيوبارت

وفي هـذه اللحظة أسرعت سيدتي الى وأخذت بيدي الى ناحية من المكان وقالت لي

اخبريهما أن مستر تشارلس حبيبك فان في هذا انقاذي من ورطة لاأشك انها قاتلتي بعد، اذا ما انتقلت المسئلة من هنا الى المحقر

ومن أجلها دفعت بنفسي الي هـذا المأزق الحرج وأعلنت أن تشارلس حبيب لي ، وتظاهرت بالشغف من أجله ، وقررت انه جاء مختفيا الى هذا المكان ليقابلني ، وقلت لهما

ـ أرجو كما أن تسكتا ، رحمة بي واشفاقا والا طردت شر طردة

وقال أحد رجلي الشرطة

ـ أظن أن فى القاء القبض لى هـذا الرجل أراحة لك . وأيضا انه من حظك فانه كان يفكر فى حليك أنت أيضا ، ولقد

كنا متأكدين انه كثيراً ماركب البحر من فرنسا الى بورتموث ورجال الشرطه في باريس يؤكدون انه حمل كثيراً مما سرق الى هنا

ثم التفت الى وقال

ـ هل أعطاك شيئا منها يامداء وازيل واذا كان أعطاك شيئا فخير لك أن تسلميها الآن ، والا فانك لامحالة واقعة في قبضة الاعتقال يوما ما

فقلت

لا انه لم يعطني شيئا ما

ودخلنا الى حجرة الضيوف ، ثم ودعنا رجال الشرطة وأسيرهم وساروا الي الطريق واختلطوا بالظلام

وفي مساء اليوم الثاني ، أعلنت الصحف انه القى القبض على أكبر لص حلى في أوروبا ، وذلك في ، شارع بو ، وانه زج سجن محكمة برانسوم فى بورتموث وانهم قبضوا عليه بينا كان في زيارة خادمة فرنسية يدبر في سرقة اخرى هنا ، ، وقرر البوليس أن اللص الانجليزي الاصل، وانه خطر جدا وذكى ومسئول عن كثير من حوادث السرقات الكبيرة التى اقترفت فى الاربع والخمس سنوات الماضية

وبعد أسبوع رحل السيد والسيدة عن بورتمرث في سياحة تطول الى الهند واليابان وذلك لأمر الطبيب حيث قرر أنه يحسن بالسيدة أن ترحل للاشتفاء من مرض الاعصاب.

وبعد ان اعددت لها المعدات اهدتنى السيدة هدية عظيمة وقالت لى والاسف يتخلل الفاظها أن السيد يأبي ان اقيم معها بعد وقد علم بزيارة مونشير تشارلس لى

وكذا وجب ان اتركها ، وذلك ما كنت اتوقعه وضعت يدها على كتفى وقالت

ـ ماربيت ، ولقد انقذتنى ! اما سير هيوارت فلايعلم شيئا ولايظن شيئا ، واما أرجو أن لا يصل الي الحقيقة ، وقد حاولت كثيراً ان ابرىء مستر تشارلس ، فعمدت الى مساعدته، وجاهدت فى خلاصه ! ولكن عبثا كان ذلك ، مسكين ياشارل ! انه لفي مقدورك ان تذكري ما أحسن به . وتعرفي احزاني والامي ما افظع وقع هذه المصيبة . ان شارل هو ولدى

وبعد ثلاث شهور . ارسل مسترشارلس من باريس الي جزيرة الشيطان — اما الحلى فاني لاازال اعتقد انها في ذلك الدرج المحكم القفل في محكمة براسكوم

البيت الثالث

مسز اتوي الصغيرة

٢٣ يونية

أن حديثي الآتي اغرب الاحاديث

عدت الى لندن مسرعة بعد أن تركت خدمة لادي اللارد سيس وكنت احمل بين يدى شهادات تدل على حسن سلوكى . وامانتى ، فلم يمض قليل حتى وجدت بيتا آخر

وفى هذه المرة وجدت نفسي خادمة فى بيت سيدة تسمي (أوتي) كانت تسكن فى بيت بارك لين في شارع جرو سفنور

أما السيده فكان عمرها لايزيد عن الثلاثين ـ صغيرة ، جميلة ، ذات شعر طويل ، رأسها صغيرة ، دقيقة الخصر ، قوية ملامح الوجه ، سحرية الابتسامة ،

وفي الساعة التي وصلت فيها الى البيت وجدت على منضدتها أدوات الزينة [illegible] المطرية ، وكان فى هذا الاكتشاف نفسه مايدل [illegible] ، وكانت تمق شعرها جيدا وتنسق ملابسها

طبق آخر مودة باريسية

ومن اللحظة الأولي التي وقع نظري على نظر السيدة عرفت انها ستثق بي كل الثقة واني سأكون موضع سرها وان نظرة واحدة لتتحقق بها من رآها انها غير انجليزية وأنها سريعة الطاعة لخادمتها تصرفها كيف شاءت

وفي الحال بدأت اقوم باعمالى ، موجهه كل همتى لارضائها قانعة بموقفي

وعلمت من (جوزيف) خادم المائدة هناك أن السيد صاحب البيت ، طويل رقيق الوجه ، يشتغل بمهنة الصحافة ، وأنه يحرر جريده يومية ، هي احدي الصحف السياسية في انجلند ، وانه كأحد أولئك الرجال المقيمين في لندن الذين يدفعهم حسن حظهم الى الثراء بسرعة ، وقد مضت به عشرة سنوات وهو يحرر في جريدة متنحيا أميال العامة حتى أصبح غنيا يملك الملايين

وكانت مدام ، كما قيل لى ابنة بدال ، يوما كان السيد كاتبا في احدي شركات التأمين ، والآن وهو في سن الاربعين يدير احدى صحف لندن العظيمة ! ! وهو أيضا يستخدم الافا من الجنيهات ليلفت بها نظر العامة الي عمله . كذلك هو يطلب أن ينال حظوة في

الى الحزب الذي يشتغل من اجله

وصادفت ليلة وصولي ان كانت ليلة الاربعاء، وهو يوم الراحة الاسبوعية للصحيفة ؟ وكانت حجرة الضيـوف ، مزدانة بالورد ، بينما كانت الروائح العطرية الفياحة تملأ كل ناحية من البيت : وقد حضر جماعة من لندن ليتسامروا كذلك ليسمعوا عزف الموسيقة ـ وكانت أجور العازفين طبعا تبلغ المئات لولا انهم يمدون بعملهم الى أن يكتب عنهم السيد ماشاء فيمدحهم في صحيفته ويقدمهم للجماهير

أما سيدتي مدام أوتوى . فليس عندى ما أشكو منها

وكان السيد يجلس فى مكتبته الجميلة . بل هي اجمل مكتبة في شارع فليت . يستقبل أضيافا كثيرين من الساعة السادسة الي الثامنة من كل ليلة

وكان حاجبه هنكشون يقيم بالباب ويقودهم الي مكان السيد وكان التليفون فى حركة دائمة

وكان يحضر ناس مختلفى الاجناس . بل من كل طبقات الامة من العظيم الى الصغـير من أعضاء مجلس الوزراء . الى الصحفيين الى السياسيين

ولا تحسبن أن السيد الاجل يمضي أوقاته في ادارة جريدته

انه ركب موتوسيكلته ويذهب الى كل مكان تاركا السيدة في تدابيرها
ومر بي شهران كاملان وانا في خدمة السيدة قبل أن أعرفها وأنها فى الحقيقة لتجيد موقفها الذي وقفته بما ملكته من مال .
وكانت تخرج من منزلها وتعود . وليس من يعرف اين تذهب ولا ماذا تفعل !

وكثيراً ما كان السيد ينتهز فرصة غيبتها . ويحاول التقرب مني . ويخاطبني بأحسن الالفاظ . ويتظاهر بلطافته وكياسته .
وغريب أمره جداً . انه يحاول أن يصادقني ويخاللني. ولكني كنت لاأعيره لفته ولا أشجعه علي عمله . فان الوصيفة اذا اباحت مثل هذا التشجيع لامثال هذا السيد . كانت المصيبة أعظم. وانا أعرف مركزى حيال هذه الاعمال .

وقد يكون المزاح والمداعبة مع خادم جميل حسن الشكل مباحا الا مع حضره السيد الاجل فانه ممنوع قطعيا

وما أظن الا ان معاملتي للسيد تلها التى كانت تبجيلا واحتراما هي التى دعت السيدة الى تغير لهجتها معي ، اذ استغنت عن شدتها فقدكانت تمزح كثيراً معي ، وتضحك أثناء كنت البسها ، وأمشط شعرها ! وكانت كثيراً ماتهديني هدايا كثيرة وبعضها ملابس حسنة

وشرائط قديمة ، وان تلك النقود الاضافية التي تنالها الوصيفة من سيدتها لتجتمع يوما فتكون كمية وفيرة من المال ، وكانت سيدتي تنال مالا كثيراً من السيد وهو يعتقد أن نصف قوته نشأت عن زوجته

وكانت مدام كغيرها من السيدات ذوات الهيبة والظهور ، وكانت عرضة للدوار ، فتصاب به أو تتعمد التظاهر به وكانت كثيراً ماتستخدم (الاتبرين) في ازالة ذلك الدوار

وليست تختفي الاسرار عن الوصيفة ولقد كنت أضحك اذ كانت تحاول سيداتي ان تكتمن اسرارهن عني ، انهن ليحاولن أن ينسين أن المرأة ادق احساسا من الرجل ، وان الذي يختفي عن أعين صاحب الدار ورب البيت وتحتال السيده ، في كتمانه عن زوجها ليظهر جليا لملك الوصيفه ، تنظره العيون وكأنه في ضوء الشمس

أسرار ياالهي ! انني اعرف كثيراً منها ، وكثيراً جداً ٠ لقد شاهدت بعيني فصولا مضحكة كثيرة ، بل قل شاهدت روايات كوميدية كثيرة ، وشاهدت مآسي كبيرة أيضا

انني لا أقول ان السيدة ظلت غامضة علي لا اكاد افهمها حتى كنت ليلة انظف لها معطفا ، وقد اعدت نفسها لركوب طومبيلها فوجدت رسالة غريبة من اسحاق بلمفيلد ، ذلك المالي المعروف

الذي يسكن فى « بارك لين » والذى كان قليلا ما يتناول الطعام مع السيد والسيدة

كان قصيراً ، لا يحب الكلام كثيراً ، هادئاً ، وكان فقيراً فى زمن ما . ودعته دواع الى جنوب أفريقيا فعاد منها غنيا

كان آل بلفيلد معروفين فى المدينة ، ولكنه لم يكن ليؤبه به من أولئك الذين تعودوا زيارة شارع جرسفينور في كل اربعاء

وعلى ذلك كانت السيدة صديقة له على غير علم من زوجها

وأعدت الرسالة الي موضعها ، وهززت كتفى ، اذ لم يكن يهمنى هذا الحادث كثيرا . أنها كانت تعاملني معاملة حسنة

وبعد ساعة ، بينما كنت جالسة في الحجرة أعمل عملاما دخل السيد ثم قال :—

— ماريت ، ارسلي الى الطومبيل معطف سيدتك ، فالدنيا برد وسألتقي بها فى التياترو

— سمعا يامولاى

وسرت لاحضر المعطف ، وقبل أن أعطيه له أخذت الرسالة وأحرقتها

وفي الليلة الثانية سارت سيدتي منفردة ، وأما السيد فقد

سافر الى جلاسجو في عمل ما ، وعلمت انها سارت لالقاء اسحاق هدفيلد لتيناول معه الغذاء فى مطعم فى شارع كليفورد

وعادت فى الساعة العاشرة ، وأبدلت ملابسها ثم سارت الى منزل لادي ستافرتون فى شارع مونت وكانت تحسن لعب القمار وكثيرا ما كانت تربح أموالا طائلة

وقد جلست فى أنتظارها حتى الساعة الثالثة حيث عادت وكانت اذ ذلك مثقلة لرأس

وكانت شاحبة اللون ، منهوكة القوي ، فامسكت لساني متسائلة في نفسى عن السبب

وفي الصباح كانت جالسة تعد نفسها لتناول الطعام وبينا كنت أمشط لها شعرها قالت :

ـ ماريت ، هل احببت يوما ما ؟

ـ أحببت ! انا ! يا الهي انه سؤال لم يخطر ببالى أن تسألنيه ، وأحسست بالدم يعلو وجهي ، وتدخلني اضطراب

وتنهدت السيدة ، وجلست صامتة لبضع دقائق

وقالت :

ـ آه ! رب ذلك حق ولكن محال عليك أن تقفي جامده

أمام هذه العاطفة

فلم أجبها ، ولكنني أعلم ماذا تقصد هي ، لقد كانت جميلة ، وشابة فليس عجبا أن تتكلم بهذا اللسان

وحملقت في وجهي ثم قالت

ـ ماريت ، أنا .. يجب أن أقول لك الحقيقة أنى مرتبكة كل الارتباك ، انني مهمومة كل الهم ولا أدري ماذا يكون لو سألتك المساعدة ؟ ، أتخونيني ؟

ـ سيدتي ، لم أتعود حياة أحد يثق بي تلك الثقة التي تعودتها من سيداتي

ـ نعم ، يامريت ، لقد قرأت في وجهك كل الشرف والامانة ، وان مساعدتك لى فى هذا الخطر المحدق بي ليجعلنى أسيرة لك

انني أعرف ان السيد لا يرتاب من أمرها ، ولا يشك في اخلاصها ولهذا دهشت لحديثها ، وما كنت لأعلم ان ذلك الرجل الرشيق ، المتمول ، المستخدم فى معبده يكون عشيقها ، ولكنى كنت اعتقد ان فرانك كار كان بينه وبينها علاقة حبيه

أما فرانك كار ، فكان رجلا طويل القامة ، أسود الشعر شابا ، وكان كثيراً جداً ما يلازم السيدة فيصحبها الى التياترات ،

ويحضرها الي المنزل من المراقص والحفلات

ولا حظت ليلة أنه لما م وداعها ووضع يده فى يدها، أمسك بيدها لبضع ثوينات ، ومن هذه اللحظة بدأت أكون لنفسى فكرة

ولكن كان جواب اسحاق ملفيلد كافيا للقضاء على كل شدة

وكانت سيدتي على وشك ان تسر الى ببعض أسرارها لولا ان سمعنا دقة على الباب وحضرت هنكسون وأخبرت السيدة ان لادي ستافرتون بالباب وانها تريد مقابلتها لأمر ضروري جدا

فاضطربت سيدتي ، واصفر وجهها وبعد دقيقة أصدرت أمرها بأن يقودوها الي حجرة الضيوف وقالت

ـ الآن ، يمكن ان تذهبي يامارييت ، وسأطلبك ثانية بعد دقائق

وفرغت من اصلاح شعر سيدتى ، وألبستها ملابسها ، وخرجت فالتقيت بالسيدة على عتبة السلم ، فرأيتها سيدة نصف

وجلست فى حجرتي ، وبعد قليل سمعت الجرس الخاص بي ، فقمت فى الحال وقصدت حجرة سيدتي فرأيتها تمسح وجهها ووجدت آثار الدموع في عينيها

ومرت أيام بعد ذلك ـ وقالت لى سيدتي يوما

ـ ما رايت ، تعرفين بيت مستر بلمفيلد فى بارك لين ، ذلك البيت الكبير الابيض القائم فى ركن هناك

ـ نعم ، ياسيدتى

ـ حسن ، والآن اريد ان تقومي بعمل مهم لى واطلب اليك كتمانه

ـ بالتأكيد ، انا طوع لامرك يامولاتي

تدكرى أنه لايحسن ان يعلم الخدم شيئا والا فانهم سيتكلمون بكل شيء ، لاتذكرى شيئا لمنكسون ، عديني بذلك

ـ ثقي بي ياسيدتى ، الست أنا وصيفتك ؟

ـ حسن ،ان ما أريد ان تقومي به غريب ، ولكنه ضرورى جدا ، كل شيء يعتمد عليه كل الاعتماد يعتمد أيضا على ذكائك وفطنتك أريد منك ان تلبسي غير ملابسك هذه وتذهبي الى منزل مستر بلمفيد وتراقبه من الخارج وتتجسي عن رجل رأيتيه هنا كثيراً هو مستر كارو ، وأنت تعرفينه بالتأكيد

ـ نعم ياسيدتي

ـ يجب ان تذهبي حالا ، وان تراقبي المنزل وتبقى هناك ، واذا رأيت من الضرورى البقاء هناك الى منتصف الليل، ا ه ترك

ولا أدري أين يسكن ، أما أنا فسأبقي هنا الي وتخبريني بالنتيجة ، فاذ طلبك وسألك عنى فاسرعى رسي طومبيلا ، . . وأظنه لا يعرف واذا التقيت به فى طرق سرعي اليه ، وعرفيه قبل ان يدخل منزل مستر بلفيلد انه يوجد صديق يريد ان يقابله ، فاذا رغب في لقائه فتعرفي منه المكان الذى يمكن ان يقابله فيه واسرعي الي :

ـ حسن ، وماذا ألبس ياسيدتي

ـ البسي أحسن ما عندك ، فان البوليس اذ ذاك لا يحول بينك وبين عملك ، واذا اعترضك واحد منهم فاذكرى له اسمي ، فانهم جميعا يعرفون زوجي ، واسرعي ، كلي طعامك بسرعة ، اذهبي

وكانت مهمتي هذه شاقة ، فالتهمت طعامي الها ا ، ولبست ملابسي ، وأخبرت هنكسون انني ذاهبة في عمل لسيدتي واسرعت فاخترقت شارع جرسفينور ومنه الى بارك لين ، وهناك التفت يسرة الوجدت المنزل الكبير ، منزل السيد المالى العظيم ، وأظنه منزل معروف هناك

وهناك وقفت امام الباب ، على بعد طبعا لمراقبة البيت وكنت اجد كثيراً يحضرون الى المنزل وكثيراً يخرجون أيضاء

كنت أري رجلا يركب طومبيلا اصفر ، وساعي التلغراف .
وسيدة عجوز ، حضر الى هذه السيدة رجل من داخل البيت
واخبرها « انه غير موجود بالمنزل » ، وكذلك قال هذا لزميله
لوجلين يظهر انهما جاءا فى عمل ما ، وامضيت عصر اليوم البارد
وصاحب سيدتي لم يحضر

وبوليس لندن يتهم السيدة المتباطئة في مشيتها التى تتوانى
كثيراً ، وتقف فى الطرقات كثيراً ، وهكذا الفت نظر الشرطي
القريب مني ، ولما اسدل الليل استاره الزمت ان اراقب المنزل من
الجهة الاخري ، بعيدة عن هذه النقطة التى اقف فيها

واظلمت الدنيا منذ الساعة الرابعة ، وانيرت مصابيح الشارع ؛
وكانت العربات الحافلة ، والطومبيلات تمر بالشارع ؛ وقليلا ما كنت
تري من يمر فى بارك لين ، واذا رأيت فسرعان ما يختفى عن
ناظريك . بينا كنت انا وحدى اجلس على المقعد الحديدى هنالك
احملق فى المنزل . واحاول ان اخترق الظلام بنظري

وفي نحو الساعه السادسة بدأت السماء تمطر ورأيت شبحا
طويلا . يلبس ملابس الشتاء يقترب من المنزل من بعيد انى
يكاد يلي

وقبل أن اتبين صراحة انه الرجل الذي أقصده بانتظارى هنا . أسرع هو الى السلم فارتقاه

وفى لحظة اندفعت فيها الي الباب لامنعه من الدخول . ومن الاسف فاني لم أتمكن من عملى حتى كان هو داخل المنزل . وبالطبع فانه التقى هناك بستر بلمفيد

فأسرعت وأخذت طمبيلا . وسرت الى سيدتى وأخبرتها الخبر فقامت مضطربة ولبست قبعتها ومعطفها بسرعة وأسرعت الى بارك لين

ولما عادت بعد نصف ساعة أو أكثر وجدتها بيضاء كالشمعة . ترتعد

فقلت

ـ سيدتي أأنت مريضة ! هل أستطيع أن اطلب الى الدكتور ؟

— لا ، يامار ...

وعادت فنظرت اليها فوجدتها تغيرت فى كل معالمها، ووجدتها تحمل فى وجهها شارات الغضب والحزن وقالت :

ـ لا . ليس من الضروري ، فكل الاطباء فى كل العالم ليس فى مقدورهم أن يفيدونى شيء ولا أن يداووا علتي !

- ولكني لاأستطيع أن ابقي جامدة ، مري بشيء يامولاتي ، ولا بد من عمل ما

- ، انا - أنا لا أريد عشاء ، سأذهب تواً الى حجرتى

وبغير أن تتواني قليلا ، اسرعت الي حجرة ملابسها ، حيث لحقت بها ، نخلعت ملابسها وقبعتها ، واضطجعت في سريرها

ماذا حصل ؟

وجلست بالقرب منها كل تلك الليلة ، ولم تستطع أن تتكلم بل انها لم تقو على النطق بغير الفاظ قليلة جدا ، فقد اضطجعت في سريرها ، فاتحة عينيها ناظرة الي الموقد ، ساكنة سكوت الموتي .

وفى نحو الساعة الحادية عشرة ، بينما كنت احمل اليها فنجانا من اللبن ، حضر السيد ، ودخل الحجرة مسرعا صارخا

- يالوسى ! حصل حادث مرعب مخيف تلفن الى كارو . مخبر الجريدة يقول انهم وجدوا بلفيلد ميتا فى مكتبه ! وكان خادمه يكلمه بعد الساعة السادسة بقليل ، ولكنه فى نحو الساعة السادسة والنصف ذهب اليه يحمل تلغرافا ؛ فوجده ميتا ملقي على الارض مضروبا بالرصاص ، والغريب في الامر انهم ذكروا ان زائرا غريبا قدم اليه فى الحجرة وقام بنفسه يفتح الباب أما البوليس فيظنون انه

مات مقتولا

فقامت السيدة ، وفتحت فاها تحاول الكلام فلم تستطع ، وعت وجهها صفرة الاموات ، والتقت عيناها بعيني ، ونظرت الي زوجها وحملقت بوجهه وقالت :

ـ مقتولا ! أيقولون ذلك !

نعم اليست هي حادثة فظيعة ؟ انه كان رجلا طيبا ، أظن انه يحسن بي أن أشيع جنازته

وأسرع السيد الى مكتبه ، ووجد هناك زوارا كثيرين وأسرعت مدام الي الباب وفتحته ، وأسرعت قائلة :

ـ ماريت ، انك انت دون غيرك التى رأت مستر كارو يدخل هناك ، فاذا بقيت ساكتة ، ولم تنطق شفتاك بكلمة فانه لا محالة سالم ؟ فقلت

ـ مادام ، انك لا تحتاجين الي اسدائى نصيحة ما فى هذا الموضوع انني نسيت ما رأيت بالمرة

ـ وستبقين تساعديني ؟ آه ! انك لا تعرفين مقدار ما أصابني من وراء هذا ، ولم تعرفى كيف كان العمل ، وما يحتاج الي التضحية

ـ عليك يا مولاتي أن تأمري ، وعلى الطاعة انا خادمك المخلصة

وبقيت تفكر لحظة ثم قامت وسارت توا الي حجرة نومها وعادت بعد خمس دقائق ومعها رسالة محكمة الغلق وقالت :

ـ خذى هذه حالا الي مستر كارو ، انك تعلمين أين يسكن ، سلمى هـذه الرسالة اليه شخصيا ، واذا لم يكن هنالك انتظريه حتي يعود .

ومرت عشرون دقيقة كنت في نهايتها واقفة على الباب دق جرس بيت حبيب سيدتى ، وفتح الباب ثم قادني الى الداخل خادم له ، فسرت معه الى حجرة ملآى بالكتب ، مملوءة بدخان التبغ ، ، مزدانة بصور السيدات

وبعد قليل حضر السيد الاجل وعلى وجهه صفرة الموت ثم دخل الحجرة ، وارتعد دهشا لوجودي بها ، وبعد لحظة عاد مبتسما اذ علم من أنا ، وناولته الرسالة فاخذها بلهفة وأسرع فى فض مظروفها وطالعها

ثم قبض حاجبه ، وضغط علي شفتيه باسنانه وقال :

— أن سيدتك تقول انه يمكن أن تثق بك كل الثقة

ثم أغلق الباب وأخذ ينظر الى ، وكانت عيونه دعجاء جميلة تلوح عليه علامات الاحترام — وقلت له

— نعم ياسيدي

« — ستعلن الصحف غدا خبرا من الاخبار ، وسيجتهدون فى معرفة حقيقة الخبر ، وعبثا يحاولون الوصول اليه ولكنهم اذا علموا بالحقيقة ، فليس الخطر محدقا بسيدتك وبي فقط ولكن هناك سراً يجب أن أصرح لك به ، حتي تدرى حرج المركز ، أن كلمة واحدة تصدر مني تكشف الغطاء — ولكن عملى هذا سيكشف سرا ، سراً عظيما أما هذا السر فيهم سيدك ، وانه ليسعى في الوصول اليه ، أنه يريد أن ينشره فى صحيفته ، أنه يريد أن يستخدمه بسبيل الى غرض يسعى اليه ، انه ليحاول أن يصل اليه عن طريق سيدتك ، ولكن الحقيقة التي يجب أن تقال انه يجب أن يبقى هذا السر مكتوما احتفاظا بشرف سيدتك

— ولكن هل لك ياسيدي أن تقول لي شيئا عن هذا السر ،

— آه انني آسف انه لا يمكني أن أبوح لك بشيء عن هذا السر . يكفي أن تعلمى أنى أنا وسيدتك اتفقنا على الاحتفاظ بهذا السر . وأنه بعملنا هذا قد عملنا على الاحتفاظ باشخاص

قلت فى نفسي . أن سيدتي ذكرت التضحية فى كلامها فهلا يكون الامر أن هذا السيد ضحى نفسه من أجلها .

أن هذا السر قد أزعج خاطرى كثيراً جداً

قال .

أن سيدتك كانت فى خطر ، كانت في خطر داهم حتي تلك الليلة ـ أما الخطر فقد تعداها

فاسررت قولى .

ـ وأظنه بموت أسحاق بلهفيد

فطأطأ رأسه ، وامتقع لونه ، ثم قال :

ـ أنك مخلصة لسيدتك يامارييت وقد وعدتيها بالمساعدة فهل أنت عند وعدك لها ؟

ـ نعم ياسيدى

ـ اذن يجب أن تساعدينى أنا الآخر ، فاذا سئلت مرة هل لك أن تقرري انك كنت معى هنا فى هذه الحجرة فى تلك الليلة من الساعة الخامسة والنصف الى الساعة السابعة ؟

فصرخت قائلة

ـ سيدي !

فقال

ـ انه كثير جداً أن أطلب اليك هذا العمل ولكني أطلبه

اليك لتنقذيني !

ـ لا انقذك أنت ياسيدى !

ـ نعم ، نعم ، وبعد قليل ستعرفين كل شيء والآن فانى أطلب اليك أن تقيمي برهانا على اني كنت هنا فى منزلي في تلك الساعة ، انني اعتمد عليك كثيراً جداً

ولكني عدت الى شارع جروسفينور قبل الساعة السادسة والنصف .

ـ من رآك ؟

ـ لم يرني غير سيدتي ، انني بقيت فى حجرتها نصف ساعة بينا هى ذهبت الى منزل مونشير بلمفد

فصرخ قائلا .

ـ الى منزل بلمفيد ! هل مرت سيدتك بيارك ابن بعد الساعة السادسة ؟

ـ نعم ياسيدتي

فسكت طويلا وأخذ يتنهد ، وقد غطى وجهه بكلتي يديه ثم قال

ـ اذن هى عرفت ؟

ـ عرفت ماذا ؟

ـ عرفت أن اسحاق بلمفيد ...

ـ اننى لا أعرف شيئا فى الموضوع

ـ وى ، انك محتالة ، انك لا تعرفين شيئا ، أظنك لا تبخلين أن تكوني لى صديقة ، كذلك لا تبخلين أن تكونى لسيدتك أيضا

ثم أمسك بيديه وأخذ ينظر الى وسكت . حقيقة . انني وقفت الساعة موقفا رهيبا أن كلمة مني تنقذ قاتلا !

ومد الى يده ، ولكنني لم أتناولها

وقلت له ، انه رغبة في انقاذ سيدتي ، أكون مسرورة أيضا اذا أضفت اليه انقاذه بأن أطيعه فيما يرغب أن أقوله

ولما قلت له كلماتي وثق بي كل الثقة وكأني قد أنقذته ، فملأ كأسا من الخمر وناوله لى رغبة أن أشربه ، ثم احتسي كأسا من الكنياك ليهديء به ثائرة نفسه ، وقال :

ـ أنا لا أريد أن أكتب لسيدتك شيئا الآن ، فان فى الرسائل أخطاراً ، أخبريها انني سأتناول طعام الغداء في مطعم بركلى غداً ، وأسأليها أن تقابلني هنالك صدفة ، واخبريها أيضا انني سأعمل بكل ماجاء في رسالتها .

وأمطرني وابلا من التشكرات، ثم عطف على ثقته بي فذكرها وأثنى علي كثيراً جداً، ورغب ان أقضي ليلة هنيئة ، ثم ودعني

* * *

وفى صباح اليوم الثانى قرأت في الصحف خبر مقتل اسحاق بلمفيلد ، وأنهم يبحثون وراء المجرم وانه قبل الساعة السادسة أخبر خادمه انه ينتظر زائراً وانه سيقوم فيفتح له الباب بنفسه أما عمله فكان عاديا ، وكثيراً من هؤلاء المتمولين يعتادون مقابلة أشخاص يهتمون بهم كل الاهتمام لان وراءهم مغنما . وكثير من الزوار يقصدونه في مكتبه ، ويدخلون ثم يخرجون بغير ان يراهم أحد من الخدم

أما هذه المأساة فكانت موضع دهشة وخصوصا فى الصحف

وأما سيدتي فأعدت نفسها للذهاب الى مطعم بركلى ثم ذهبت اليه فى نحو الساعة الواحدة ولم تعد حتى الساعة الثالثة والنصف — وبعد قليل اختلت بي ثم قالت لي .

ـ ماريت ، ان مستر كارو أخبرني بوعدك له ، وانك لتجهلين مقدار ما تقدمينه لنا من الحسنات ، اما مكافأتك فعظيمة

ـ فلا تخافى بعد شيئا

ـ انني لا أنتظر مكافأة ما ، ان كل ما أرجوه أن يسرك عملى ،

ومن الواجب على أن أساعدك ما استطعت

ـ ان واجبك أن تستعدى حتي للكذب لتنقذى رجلا ليس لك به علاقة ما

ـ انى سأقوم بكل شيء تطلبينه مني اكراما لك

أما الجريمة فلا أظن الا أن باعثها الغيرة ، وان هنالك سر بين الرجلين ، علمت به سيدتي ، فاضطر مستر كارو ان يقتل مستر بلمفيلد رغبة في التخلص منه

والا فلما بسعي مونشير كارو ليتخذ منى قوة تدفع عنه أذى الاتهام ؟

ومر أسبوع كله بحث وتنقيب ، وانتهى الامر بأن . . . . شخصا مجهولا ؛ أما القتيل فدفن فى حفل مهيب مشى فيه مونشير

وفى ليلة ، بعد ثلاث أسابيع حضر مونشير كارو للغداء في شارع جروسفينور ، واحتفى به سيدي كل الاحتفاء

ولما انتهوا من الطعام ذهب كل من سيدي ومونشير كارو الي المكتبة ، فأسرعت خلفهما ؛ كما طلبت سيدتى ، ولما أغلق الباب ، وضعت أذنى عليه وأخذت أتسمع الاحاديث

وبعد حديث ليس بالطويل سمعت سيدي يقول

ـ عزيزى كارو ، انك تعرف كل شىء ، فهل لك أن تعطيني صورة لتلك المذكرات ، لنها لذات فائدة عظمى وانها لتكون سببا الى شؤون كثيرة

ـ شكراً ، ولكنني الآن فى غير حالتى القديمة

ـ أنت تعلم ياسيدي ان بي شغفا شديدا الى نشرها ، فانها ستكون بسببل الى تحويل دفة الامور الى ناحيتنا

ـ وأخشى أن تكون بسببل الي الاضرار بك بينا أصحابنا الساكنين في شارع ددونج سيعرفون كل المعرفة اننى خنتهم

ـ تكون بسبيل الي الاغرار بي ؟ وكيف ذلك ؟

ـ حسن ، ففى الاوراق الرسمية تجد من الاسف تقريرا من احدى السفارات تقول فيه انك تتقاضى ما لا من حكومة معادية لتنشر دائما ان المملكة فى أمان حتي يكون ذلك بسبيل الى اشتغال المملكة بغير الواقع

ـ وي ، ، يا آلهى ، وكيف بلغك هدا ،

ـ ان الاوراق في يدي و . . .

ـ تعال يا كارو افصح بارجل ، اننى لاجد فى وجهك شارات الاضطراب ، فقل لى عن الحقيقة ، ـ دعنى اطمئن — من يعلم

غيرك بهذا الامر ،

- عدو — ولكن من حسن حظك انك أصبحت في مأمن

- في مأمن ! من ذلك الذي انقذني ،

- سل زوجك فتحضر هنا ، فاذا رضيت بحديثي قلت كل شيء

وسمعت صوت الجرس ، فانتحيت جانبا من الطريق

وسمعت هفهفة ملابس سيدتي بينا كانت تمر بالحجرة ، وبعد لحظات قليلة عدت الى مكاني وأخذت أتسمع الحديث فسمعتها تقول بصوت أجش لم أعهدة قبلا

- نعم ، فرانك ، قل كل شيء اذا أردت

فقال

- اذا اصغ بامسز انوي ، أن زوجك هذه فقدت مالا كثيرا في القمار في منزل لادى ستافرتون منذ اسابيع قليلة ، فدفع اليها ذلك الوغد اللئيم بالمبلغ مالا استدانته منه ، فالمني عملها هذا كل الالم فاندفعت افكر في رد هذا المال اليه ، ثم بعت له بعض الاوراق السرية الخاصة بالمعاهدة التي تطلبها وكذلك بعض الرسائل الرسمية

فاضطربت السيدة

وسمعت سيدتي تقول ،

- انه تمكن بهذه الرسائل من العمل على النكاية بي، وأوعدني، انه اذا لم اقابله سرا فانه لا محالة ناشر هـذه الرسائل وعامل على الاضرار بك ياجاك ، اما انا فاداني بالمال وقد وقعت في مخالبه

وقال سبدي

ثم ماذا ؟

فهزأت به : ودكرت حادثي هذه الى فرانك الذي تقدم الى صداقتي

وقال جاك

- حسن يا أنوى أن تقول الحقيقة ، وأن نزح عنها الستر ، فان زوجك ما كادت تذكر لي الطريقة التى اتخذها بسبيل الى تنفيذا لأغراضه وكيف انه اتخذ هذه الاوراق وسيلة اليها ، حتى اضطربت اضطرابا شديدا جدا . ولقد كنت أظن انه في حاجة اليها ليكسب مالا من ورائها ، وعزمت على زيارته سرا فجئت من باريس لهذا الغرض ، أما زوجك فكانت تعلم بكل ماأعمله ، وكانت تعلم انى حضرت من باريس . اما بلمفيلد فقد قام وفتح الباب لى ثم دخلت وكنت أحضرت كل المال الذى أستطيع ان أرد به الاوراق جميعها فلم يقبل أن يفعل ؛ ولما يئست عدت ادراجى

وقالت سيدتي .

— اسمع ، وفي تلك الليلة قصدت الرجل الذى عول على سحقنا والعمل على اهلاكنا ، ولما رآني من نافذته قام الي الباب ففتحه ، ولما انفردت به فى حجرته رجوته اشفاقا بي أن يرد هذه الاوراق أما هو فوضع الاوراق على مكتبه أمام عيني وأجابني بخشونة انه لما اني رفضت مقابلته سرا فانه فكر أن يعطيها الى صحيفة معاديه — ثم قام وأمسك بي وحاول أن يقبلني ، فتناولت مسدسك الذي صحبته فى تلك الليلة وحاولت أن اطلقه على نفسي، فحاول أن يتناوله مني ، فجاهدت كثيرا ، وخرجت منه رصاصة، وبعد لحظات وجدته مضرجا بدمائه ولم اعلم ماذا فعلت بعد غير انني تناولت الاوراق وخرجت متباطئة في مشيتي ولم يرني أحد داخلة ولم يرني أحد عند ماخرجت وأيضا فانه لم يعلم أحد بالحقيقة !

فصرخ كل من السيد وموسير كارو ، وتولتهما الدهشة من هذا الاعتراف

وقال السيد الاجل ،

— ولم يظن بك أحد ظنا ماالسوء ،

— لا ، لم يظن بي أحد بل لايتهمني أحد ولكنى وثقت

كل الثقة بمريت فهى على علم ببعض الحديث

— اذن يجب أن لا نهتم بالامر كثيرا ، أما ماريت فيجب أن نكافئها وندفع لها مالا يرضيها ، ونعمل على فصلها من البيت ، فانها أن بقيت أذكرتنا دائما بالحادث وغدا فسأدفع لها هديه مني مبلغ مائة جنيه

وفى الصباح دفع لى منشير امام سيدني المبلغ الذي وعدني به، فخرجت من البيت

البيت الرابع

سفينة نوح

١٦ فبراير

انتظر ! سأقص عليك صفحة تاريخية اخري أما سيدتي هذه المرة فكانت جميلة جدا ، ورشيقة ، ولما رأيتها لاول مرة ، حيث جئت لتراني وتتفق معى على عملى . قابلتها في حجرة الجلوس ، فى فندق سافوي بلندن ولحظت انها لا تزيد عن الثلاثين سنة ، ذات شعر جميل ، وعيون وضاءة . كحلاء . دعجاء . وحواجب سوداء ، وانف اقني ، وفم صغير دقيق ، وذقن مستديره وبالاختصار كانت جميلة وجذابه

وكانت تلبس (فستانا) جميلا متقنا ، ولما رأيتها ونظرت الى رأيتها لاول وهلة من الفتيات الجميلات ، ومن بنات الحرية المطلقة والازياء الحديثة

وكان اسمها مسز اشلى بوند ، وعلمت بعد انها تركت منزلها في شمال ايفون ، وقصدت الى الفنادق هي وزوجها . وانها تعودت أن تصحبه فى رحلات عديدة

قالت السيدة :

اذاً تقولين انك مستعدة للسفر ؟ اما نحن فنمضي ستة شهور في كل عام متنقلين من مكان الى مكان ثم نعود الى لندن

فقلت

نعم ياسيدتي ، انني تعودت السفر ، وكثيراً ما سافرت . سافرت الى الهند والى استراليا مع مدام هنسو التي قدمت اليك شهاداتها

- انها شهادات حسنة جداً . ولكن قبل كل شيء يا ماريين انني أكره المداعبات والمزاح مع أي كائن كان. وطبيعا فان فتاة فرنسية مثلك ايكون لها الكثير من المحبين . أما أنا فاحرم المداعبة تحريما باتا

— واما يا سيدتي مرت بي من التجاريب الكثير جداً . وفيها دروس قيمة . وقد تعودت أن أحتفظ بنفسي واصونها من العبث

- أمل كل خير اذن . وآمل أن لا أؤنبك يوما ما ... زوجي في الآن في المانيا . وسيكون هنا في الاسبوع القادم

وتركتها وذهبت الى عملي

ولحظت لاول مرة ايضا أن سيدتي تتكلم الفرنسية والالمانية جيدا. وأن نظامها وازياءها يقتضيان عليها اتخاذ الدرجة الاولى في الفنادق. وقد سافرت هي وزوجها وذهبت من لسبون الى بودابست. ومن الاستانة الى ستوكهلم

— وافرحتاه ! لقد نلت ما ابغي . اني وجدت المحل الذي طالما تاقت نفسي اليه

وأصبح برنامج حياتي هو :

في مونت كارلو في الربيع . ومنها الى لندن ثم الى اكس. وباريس ومنها الى سكوتلاند وهكذا

وقد اتخذنا احسن مكان في فندق سافوي وفي اليوم الذي قابلت فيه مدام رأيت في يدها صكا بمبلغ اربعة الاف من الفرنكات لحساب فندق شبرد في القاهره . ماهذا ؟؟ المال كثير جدا جدا !

اما مدام فكان لها اصحاب كثيرون . في الفندق وخارج الفندق . وكانت صديقه تامة الصداقة مع سيدة تقيم في الفندق اسمها مدام كورنتي كانت تقيم بجوارنا في الفندق في نفس الدرجة التي تقيم فيها وكانت صفاتها يدل قوامها وشكلها على انها

بنيودوه المثبت وكان زوجها قصيرا مستدير الوجه بعينين حادتين جحوداوين وشارب محبوك الصنعة

وكنت كل ليلة البس سيدتي زيا مخالفا للزي الذى ألبسته لها في الليلة التى قبلها . وكانت تذهب للمشاء أو للتياترو وقد ذهبت اليـه مبكرة ثم تعود فتتناول الطعام مع كل من مونشير ومدام كورتنى

ولما مرت بنا الايام لحظت أن بين سيدتي ومـدام كورتني صداقه متينه جدا وكانت تمضي طوال الساعات في حجرتها وكانتا يتسران احاديثهما فلا استطيع أن اتبين ما يقولانه وكانت مدام تتكلم كثيرا باللغة الفرنسية . وكثيرا ما كانت تحتفظ بهيئة الباريسات ونظام ملابسهن . . وكانت تقتني كل انواع المطور، وما تحتاجه التواليت من الدهون . وشرعت ازيد معلوماتها بما انا اعلمه من طرق التفنن في الظهور . وكانت تشترى قبعاتها من مونت كارلو وتشترى ادوات الزينة من نيس وتعرف الرفبيرا كما اعرفها . وتحكم ملابسها كل الاحكام

وكانت تفوق الجالسات في مطعم سافوى فما تكاد تتناول طعامها حتى تذهب توا الى حيث تجلس مـدام كورتني فتدخن

معها ، وكانت لاتكاد تجلس هناك حتى تكون مطمح انظار الجالسين هناك ،

وكانت فكهة الحديث ، وديعة فى اخلاقها ، ليست كثيرها من البنات الانجليزيات الجامدات الباردات ، فقد كانت تمزح معى ثم تبيح لى الضحك معها ، ورغم اختلاطي بها فانى كنت مملوءة بالدهشة والاستغراب من صداقتها لمدام كورتني ، بل كانت هذه الصداقة عندى فى موضع شك وريبه ، كنت لا اعرف السبب ولكني كنت اشعر تمام الشعور أن مدام كورتني وزوجها لايمثلان حقيقتهما ، بل لابد أن يكون من أمرهما غير ظاهرهما

وربما تكون هذه الريبة نشأت عندي من انه فى يوم ما بينما كنت سائره فى شارع اكسفورد رأيت مدام كورتني تتكلم مع اجنبي من الطبقة الدنيا ، وكان فى شكله وهندامه يلوح لى كانه أحد أوساط الخدمة فى الفنادق ، وكانه خال من العمل ، ولم ترنى مدام كورتني ، اما انا فقد اجتهدت أيضا أن لاترانى البتة ، ولكنها لما عادت الي الفندق اسرعت الى حيث تقيم سيدتى ، وأخذت تتكلم معها همسا ، غريب ، غريب جدا هذا الامر

وعاد سيدي في اليوم الثاني من برلين

وكان جميلا ، يبلغ الاربعين . وكانه من رجال الجيش ، نشطاً خفيفاً ظريفا كث شعر الشارب

وكان معروفا بين الناس في الفندق ، وخصوصا جماعة الامريكان ، وبغير شك فانه كان وديعا لطيفا ، وامضي نحو اسبوع وهو لا يصحب سيدتي معه خارج الفندق

وكانت هي تذهب بمفردها ، أو تصحب مدام كورتني

وكان سيدي ومونشير صديقين حميمين وكانا لا يفترقان البته ، ويذهبان معا الى هونسلو ، وفي الضواحي ، وكانا يتناولان الطعام مع رجال ، يصحبونهما ، ويتعرفان بهم ، اما مونشير كورتني فقد حاولت ان أعرف عمله فما استطعت

وفي عصر يوم ما ، ادهشتني سيدتي ، فقد كانت تتغذى ، خارج الفندق ، وعادت فالتقت بسيدي في أحدي حجر الفندق وكان في انتظارها ، وتكلما كثيرا ، وصحبت سيدتي الى حجرتها وهناك وجدت مدام كورتني فتكلما همسا ، ثم دعتني سيدتي وقالت لي

ـ ماريت ، سنبرح الليلة . وأما أنت فيجب أن تبرحي

شارع لفربول عن طريق هاروش الى باسل . ومن هنـاك الى ميلان حاملة معك بعض امتعتي . وهناك تذهبين توا الى فنـدق ميلان . وتنتظرى

ـ نعم

ثم جمعت امتعتها وساعدتها مدام كورتني

يا الهي ! ماذا جرى ؟ وبعد ربع ساعه حضر سيدي مسرعاً الى الحجرة وتناول كأسا من البراندى وناولني ورقتين ماليتين . قيمة كل منهما عشرة جنيهات . لاجل مصر فى ، وقال :

ـ اسمعي ياماربيت . انى اهتم اليوم بمسئلة مالية عظيمة ولا أريد احدا يعرف عني شيئا هناك فى ايطاليا . ولا يعرف اسمي . فاذا وصلنا فان اسمي سيكون « الكابتين هوج اترتون ». وزوجتى اسمها « لادي هـلدا اترتون » أبنة ايرل الفرا كوم فهل فهمت ؟ أنك فتاة طيبه . وتعرفين كيف تحتفظين بلسانك وهذا ما اعتقده فيك

ـ أنا في خدمة سيدتي . اليس من واجبي أن احتفظ بلساني ولا أتـكلم ؟

يالهذا السر ! لما لا أصحب سيدتي ؟ أنا خادمتها . لماذا أذهب

مثل هذا الطريق الذى أرشدتني اليه ؟ فهل هم يزمعون الهرب من الفندق

وليس من شأن مثلى أن تسئل عن حركات وسكنات سيدها وسيدتها . وعلى ذلك جمعت الامتعه وفي نحو الساعة الثامنة من ذلك المساء أزمعت الرحيل من محطة شارع امربول في عربة وكان البحر الشمالى مضطربا . ولم يسبق لى أن اصابني دوار كالذى أصابني الليلة واخيرا سافرت من بال الي بروسل بالاكسبريس وأمضيت النهار ومساءه فى القطار عن طريق ستراسبرج الى سويسرا. وذهبت من بال الي لوسيرن . وبعد أن تناولت الغذاء قصدت ميلانو

ميلانو ! يالها من بلد حقيرة ، ممقوتة ! مملوءة بالتراب ! يخترقها الترام ! ينتشر فيها الشبان المتعرضون للنساء في الطرقات وهم لا يكونون غير بضع مليمات تملأ جيوبهم . انها أفظع وأبشع بلد فى أوربا

وطوعا للاوامر . استأجرت حجرا قيمة جدا في الفندق وبعد أربعة أيام حضر كل من سيدي وسيدتي . وهما في ملابس غيرها منذ رأيتهما ورأيت مظاهرهما قد تغيرت التغير كله وأدهشني

أمرها . وقد لبس سيدى ملابس ثمينة ، وحلق ذقنه وتمنطق بالذهب . وأما سيدتي فقد غيرت من هيئتها فظهرت في غير وداعتها بالامس . بل اتخذت ملابس السياح

السياح ! يا آلهي ! ماهذا

وأما الاسمان اللذان اتخذاهما فقد كانا مدعاة الى الاحترام الكلي . والي المعاملة الممتازة

أما مظاهرهما الحالية فقد كانت أدعي الى استغرابي ، ولواني التقيت بهما فى طريق ما لما كنت استطيع أن اعرفهما . ولامر ما ولا شك هربا من انجلترا

ودعاني استغرابي أن استفسر الحال من صديق هنالك في انجلترا فى الفندق الذى تركناه . فرد على يقول انه لايعرف شيئا وان كل الذى كان أن مستر آشلي بوند حضر فى المساء ودفع المطلوب منه وبعد ربع ساعة صحب زوجته وترك الفندق

وكانت سيدتي تمضى يومها فى المطالعة . وهي جالسة بالقرب من النافذة . بينا سيدى كان يمضي أكثر يومه خارج الفندق

وبينا كنت ليلة ما أسرح شعر سيدتي قالت لى

ـ أظنك دهشة يامريت لما رأيتيه من تغيير أزيائنا . والسبب

أني منذ سنة تقريبا تزوجت بغير ارادة أبي . وهو لا يعرف أنني تزوجت لانه يعتقد أنني لم أزل فى أمريكا مع عمتي . والآن اخشى ان يكون يبحث عني . وقد رتب امره يبث عيونه . فاذا وجدنا . وعلم ما كان احرمني ولا شك من ميراثه . اما هو فمريض الآن. وقد قال الاطباء انه لا يعيش اكثر من ستة شهور

ـ ولكن عمتك . الا تخبره انك هربت ؟

بالتأكيد هي لا تخبره بشيء ما . فقد تركتها في نيويورك وسافرت الي كاليفورنيا ومنها الى اليابان . وفي هونج كونج التقيت بزوجي . وهناك عقدنا الزواج بغير اسمائنا . وامضينا اكثر من سنة ننتقل من مكان الى مكان وعمتي تعتقد انني فى مكسيكو . انتقل مع بعض صويحباتي . ولكننا نعتقد الآن ان قد بلغ الخبر الى والدي . ولو صح الكلام الذي نقله بعضهم فان نصيبي فى الميراث سيهبه ابي الى الجمعيات الخيرية

فطأطأت رأسي لهذه القصة . وهي تختلف طبعا عما قصته على خاصة بيتها في ديفونشير

واذا كنت من رواد ميلان فانك ولا شك ذاكر (قهوة نفي) في ميدان مازيني . وذاكر أيضا ذلك المكان الزجاجي

العظيم الموجود بها فهناك يمضي سيدى طول يومه وينفقه في التدخين وشرب الفرموت يصحبه بعض الشباب الطلياني

وكثيرا ما كنت أراه هناك عند ما اكون قاصدة الى عمل لسيدتي في تلك الناحية التى بها القهوة . وحواليه أصدقاؤه الجدد

ومرت ثلاثة أسابيع . وأنا الاحظ ان سيدتي تزداد قلقا وقليلا ما تبرح الفندق مع سيدى الى مقصف ليريكو . أو المتزوني أو تياترو دال فيرم وذلك في الليل طبعا — أما فى النهار فانها تتناول الغـذاء فى الفنـدق . وقل أن تبرحه — وقد بدأت أعصابها تضطرب وانتابتها نوبات غريبة أيضا . وكانت تقطع كل وقتها فى التدخين

وفى عصر يوم ما . وكنت أصلح بعض ملابس سيدتي ء دق الباب . ودخلت سيدة عجوز . مهوشة الملابس . وبعد قليل عرفت أنها مدام كورتني

أما مظهرها فقد تغير كلية !

وحيت كل منهما الاخرى تحية المشوق وبعد قليل أمرتني أن اترك الحجرة فخرجت . وتسمعت بعض الحديث

والذى سمعته كان همسا في همس لم اتبين منه شيئا

وعرفت ان مدام كورتني اسكنت ابنتها في المتروبول في بيازادل دومو . وان زوجها لم يحضر معها

غريب كل هذا الجو مملوء بالاسرار ولكني لم أستطع فهمها ولا اكتشف شيئا منها

ولم يفترقا السيدتان . وفي مرة دخلت الحجرة لامر ما فوجدت (ظرف جواب رسمى) في يد مدام كورتني . وقد اسرعت بتخبيه . ماهذا ؟

وكان يسمح لي ان اخرج فى كل اسبوع ليلتين . وفي يوم ما فى الاسابيع الثلاثة التى مرت بي هنا حصلت حادثة غريبة

كنت اترك عربة الترام امام الكنيسة ليلة ما . فأسرع الى رجل واختطف محفظتي من يدي فاسرع خلفه رجل من الحضور ورمت اللص المحفظة . فأخذها الرجل واعادها الى . وبعد ذلك عرفت أن الرجل فرنسى

وبدأ يكلمني . وسار الى جانبي متخذا الطريق الذى أسير فيه وكان وضياء الطلعة يبلغ الخامسة والاربعين له ذقن مسدولة سوداء ويظهر أنه تاجر ، وذكر لي أن اسمه بيجارد ، وانه مسافر الى ليون ليتاجر فى الحرير وانه يجيء الى ميلان في كل عام مرة

وذكرت له شيئا عن نفسي ، والاسباب التى جاءت بي الي ايطاليا
وبعد ان سرنا معا فى طريق كورسو فنسيا التقيت فجأة بسيدي
ولكنه لم يرنى ، ولم اقل شيئا . لانني كنت مسرورة انه لم يرنى
وحان وقت عودتى ، وسرنا فى الطريق حتى وصلنا الى القهوة
وهناك اتخذنا مقعدنا

وبينما نجلس اخذ يسئلني عن سيدي وسيدتي وكم من الزمن
امضيت فى خدمتها ، وعن أي الطرق جئت الى ايطاليا ، ولماذا
نقيم فى ميلان ، وكانت تظهر عليه علائم الدهشة ، واجبته بما اعلم
وهو لا يكاد يصدقني

وقال :

اتقابلينى غدا ؟

ـ لا ، لا استطيع لانني لا أخرج غدا

ـ وبعد غد استطيعين مقابلتى فى نحو الساعة السابعة عند
ساعة بكوني

واخيرا وعدته باللقاء

ولما كنت سائرة الى الفندق ، ذكرت لنفسي الاسئلة التى
كان يلقيها على ورأيت في بعضها ما يريب ورأيتها غريبة ، وكأنها

موضوعة لغرض عنده ، وانه يريد أن يعرف شيئا عن سيدي؟ سيدتي؟.

ولما دخلت حجرة سيدتي رأيت الحجرة مهوشة ، مضطربة ، ورأيت سيدي وسيدتي يحاولان جمع امتعتهما ، وحزمها وقالت سيدتي .

ـ جهزي نفسك يامارييت ، واحزمي متاعك ، لم يبق الا أربعون دقيقة على سفر القطار !

ومع دهشتي الشديدة ، جمعت كل امتعتي ، وركبنا جميعا عربة وسرنا توا الى المحطة .

وركبت القطار في الدرجة الاولى ، ولن أدري أين تذهب ولكن علمت بعد اننا نقصد روما

وأمضينا الليل طوله وقليلا من اليوم الثاني ونحن في طريقنا الي بولونيا ومنها الي فلورانس ، وهنا تركنا القطار وقصدنا الى فينزا وريجيى واستقر بنا النوى فى مكان اسموه اكوتلا نيرو

وسمعت سيدي يقول لسيدتي :

ـ من حسن الحظ انني التقيت بماريت ولا أدري ماذا قال لها

ـ خير لك ان لاتتكلم . احمد الله فقد نجونا اما مودفقد امضت

زمنا طويلا في فنيس وبعد قليل ستبرحها الى تريستا أو ابازيا

— واين تذ؟ . .

ـ سيبق سيدا عنها. وسينتظرف بوردو حتى نكتب له وسأكتب اليه بعد يومين

بالله ! لم أكن اخطيء فان هذا السيد اللطيف مونشير بجادر كان ولا شك يبحث فى الامر ، وهو دليـل الباحثين عن سيدتي وسيـدى ، انه كان يحاول ان يضع الحبـل في عنق ، انه كان يدبر الامر ويراقبني ويريد مصادقتى

وأمضينا يومين فى ريميني ، ثم سافرناعن طريق ذلك القطار البطيء الذى يسير على شاطيء الادرياتنك مارابانكونا الي برنديزى وهناك أمضينا بضع أيام للراحة ، وزار فيها سيدي البنك وسرنا الي رجيو ، وعبرنا البواغيز الجميلة الى مسينا ، وأخيرا اقما فى أحسن فنادق أوروبا وأعني به « فلاجيا » يطل على خليج لرمو

وفى ليلة ما ، لاحت مني التفاتة الى احدي حزم الامتعة ، وكان سيدي وسيدتى فى عمل ما ، بعيدين عن الحجرة ، فوجدتها مفتوحة ، ونظرت اليها

ورأيت مجموعة من (البجامات) وبعض الملابس ، فازحتها

بجانبها ورأيته شيئا بعد ، امسكت به انفاسي

رأيت بعض ماأدهشني ، رأيت مجموعة من الاوراق المالية بين انجليزية وفرنسية وطليانية . رأيت في هذه (الشنطة) المفتوحة مئات بل الآلاف من الفرنكات . رأيت مالم تره عيني من قبل

وبالتأكيد فانه من الخطر أن تترك مثل هذه (الخزنة) مفتوحة في مثل هذا الفندق

وتناولت حزمة من الاوراق الانجليزية وكانت بمجموعها مايتا ورقة من فئة العشرة الجنيهات وامسكت غيرها من الاوراق الفرنسية يا آلهي ! انني كنت أشعر بالسرور يملأ صدري بينا هذه الاوراق في قبضة يدى

وسمعت صوت أقدام، فأغلقت (الشنطة) وأسرعت لاتناول عشائي ، مفضلة عدم البقاء هنا خشية أن تحوم حولى ظنون انا في غني عنها

ما اجبن هذا السيد ! انه لايدع هذه (الشنطة) تختلط بغيرها من (الشنط) !

ولما عدت وجدت سيدى وسيدتي في الحجرة ، ولحظ سيدى انه ترك (الشنطة) مفتوحة لانني عند مادخلت وجدت

المفاتيح في يده

وما كدنا نترك ميلان ، حتى أخذا يغيران من ملابسهما ومن مظاهرهما ، وفي صباح اليوم الذي وجدت فيه هذا الكنز وقفت أطل من النافذة مفكرة في أمر هذه النقود وكيف يحملها سيدي في أي مكان يسافر اليه ، ولا يضعها في البنك

آه ماأجمل الحياة في بالرمو ، أن الجو صحو والسماء صافية ، وماأجمله في هذا الفندق

وغيرت سيدتي من ملابسها قليلا ، وأخذت تسلى نفسها في المراقص ، والحفلات الليلية التى كانت تقيمها الفنادق الاخري .

وكنا أيضا سعيدين فى فندقنا ، نجتمع بمن نشاء

ومن عصر كل يوم ، كان يسمح لى بالخروج وأن أمضى ساعتين فى نزهة ما ، وكنت امضي الوقت متنقلة من شارع الي شارع صاحبة معي أحدى الخادمات اللاتى كن مى في الفندق

وبعد عشرة أيام ، تصادف أنى كنت أمر بشارع فكتوريا ، وهناك وجدت سيدتي تجلس في عربة مكشوفة واقفة امام « بنك ايطاليا » وكانت تلبس احسن ماتلبسه ، وهي تحيي ضابطين تعرفت بهما فى حفلة راقصة فى الليلة الماضية

وكنت أصحب شابا انجليزيا تعرفت به من الفندق، واسرعت الى حانوت قريب ودخلته حتى لاتراني

وبعد دقائق التحق بها سيدى ، وكان في البنك وكان يمكن ان تمر بي هذه الحادثة دون أن اعيرها اية التفاتة لولا اني رأيت سيدتي فى العربة نفسها امام البنك التجاري فى شارع مايرامي ، واسرع سيدي اليها باسما ، وصعد الي جانبها ومرت العربة ، ثم وقفت امام بنك صغير في حي كانتي

ويظهر أن سيدي كان مشغولا ببعض الشؤون المالية، وتعترضه بعض الصعوبات

وفي عصر اليوم زار (بنك سيسلى) لانى سمعت سيدتي تتحدث عنه عند عودتها فى نحو الساعة الرابعة

ولم اعد اسمع شيئا من ميلان ، وعما كان من أمر الرحلة اليها، ويظهر أن سيدى وضع جميع الاوراق المالية في أحد المصارف ، لان (الشنطة) مابرحت مفتوحة ، وفارغة

وفي المساء اصلحت سيدتى شعرها ، وعقصته ولبست أحسن ملابسها وتهيأت لانها ستحضر حفلة رقص مدعوة اليها مع سيدى وكانت فرحة مرحة تتطيب باحسن الطيوب التى عندها ثم ابتعدت

عنها قليلا لانظرها في (فستانها) وقلت

ـ بالتأكيد فان سيدتي ستكون عروس هـذه الحفلة الليلة !
فانها في زيها اليوم لم ترها بلرمو قبلا ولم ترها في غيرها .

فابتسمت ، وقالت .

ـ نعم يامرييت ، فاني أريد أن أكون مطمح الانظار ،
ومحط رحال العيون ، وأريد أن افوق كل نساء الحفلة ،
وكم يسرني هذا

وكانت هي في الفندق ، مطمح الدلال بين القوم ، ومطمع
الدعة والمداعبة

وبعد قليل نظرت وقالت :

ـ اسمعت مارييت ، انيأريد الساعه أن تقومت بعمل مهم لي،
وتحملي رسالة ، فيجب أن تسافري الليلة فى مركب ، الي نابولى ،
والمركب تقلع في نحو الساعة الحادية عشرة ، وأظن أن ليس
هناك مايمنعك ، اليس كذلك ؟

الى نابولى ياسيدتى ؟

ـ نعم ، وستصلين في صباح الغد ، وطبعا فانت تعرفين
صديقنا مونشير مورتى أليس كذلك ، أم تره فى سافوي ! ؟

ـ نعم ياسيدتي

اذن فاذهبي الى نابولى ، ومنها الى جنوه وستجدينه في انتظارك في فندق لندرة أمام المحطة ، وعندى (علبة) أريد أن تصل الى يده

ودخلت الحجرة القريبة التى كان يقيم فيها سيدى ، وعادت بعد دقائق حاملة بين يديها علبة يبلغ طولها نحو النصف المتر وعمقها نحو الربع المتر ، ولما تناولتها وجدتها ثقيلة وقالت

ـ ليس من السهل كسر مافيها ، ولكن يحسن بك أن تحتفظي بها ، ويمكن أن تضعيها ضمن ملابسك في (شنطتك)

ـ اذن سآخذ ملابسي معك ؟

ـ نعم ، لاننا سنمضي بعض أيام هنا ، وسنرحل الي جنوه فيجب ان تنتظرينا هنا في فندق لنوره

ـ نعم ياسيدتي

وفي هذه اللحظة دخل سيدى ، ولحظت أنهما تبادلا نظرات فيها كلام

وناولني سيدي حزمة من الورق المالي تبلغ قيمتها ثلثماية فرنك طلياني ، ثم ودعني قائلا أرجو لك سفرا حميدا ، ونزلا معا يتناولان طعامهما

وأحضرت بعض ملابسي الضرورية ، وبعض لوازمتي
ولما دقت الساعة العاشرة حملت ملابسي الي المرفأ ومنه أخذت
المركب ، وسارت تمخر عباب البحر ، تختفي وراءها معالم بالرمو
ومرت بنا نصف ساعة تقريبا ، وبردالجو ، وقد كنت في اعلا
المركب ، اضطررت ان اذهب الى حجرتي ، اخرجت العلبة
من بين امتعتي

وما ابصرتها حتى رأيت نفسي دافعا الي تعرف مافيها ،
وكانت محكمة الربطة

وأخيرا لم أقوم على دفع ماقام بنفسي من الرغبة في معرفة
مابداخل العلبة ، ففككت أوصالها بدقة ، وبعد جهد تمكنت
من معرفة مابداخلها

انها كانت لعبة طفل ، كانت قطعة من الصفيح مصنوعة على
شكل سفينة نوح وكانت ذات سقف وأركان ، ونافذة ،
ولكنها كانت مغلقة غلقا محكما ، حتى اني لم استطع ان أجد فيها
منفذا — وكان ذلك مدعاة لدهشتي

سر آخر ! وأمضيت نحو ساعة وأنا أقلبها بين يدي ، باحثة
كل نواحيها فلم أعثر بشيء أستطيع ان افهمها به ، انها كانت

مصنوعة في المانيا أو في سويسرا لأنها كانت تختلف عما كنت أراه في نوافذ المحلات الا فى أنها مصنوعة من الحديد لا من الخشب

غريب جدا ان تقدم هذه هدية الى رجل

وبكل دقة وضعتها فى غطائها وأحكمت ربطها كما كانت

واضطرب البحر كعادته ، وفى نحو الساعة السابعة عبرنا (كابري) وقمنا من اوكارنا ، وبعد ساعة وصلنا نابولى ، فنزلت فيها وسرت الي المحطة وهناك لحقت بالقطار الذي يسافر توآ الى روما

وتناولت قهوتى في القطار ، وجلست بالدرجة الثانية

ولم أجد غير صحيفة (الماتان) وقد مر على تاريخها نحو أربعة أيام ، فاشتريت نسخة منها وقرأتها كلها ، ورأيت حقيبتى أمامى فأخذت احملق فيها مأخوذة ، ومرت بى ساعات طوله

وفي فجر اليوم الثانى ، وصلنا الى محطة جنوة وهناك تركت القطار ، وسرت توآ الي فندق لوندره مارة بتمثال كريستوفر كولومبس

وبعد ان أخذت حجرة في الفندق ، واودعتها أمتعتى ، سألت عن مونشيه كورتنى فعلمت أن ليس هناك زائر بهذا الاسم وصعدت الي حجرتى ، وانتظرت هناك وكنت زرت جنوا

مرتين قبل اليوم فلم أكن لأعبأ برؤيتها، والتنزه فى شوارعها

وفى عصر اليوم الثاني كنت أمر بالحديقة الجميلة بميدان بيازا كورفتي فوجدت رجلا فى زى العمال الايطاليين ، ولما وقع نظره على حياني بأن رفع قبعته

فانزعجت ثم فاذا نظرت هو صديقنا الذي جئت لمقابله في جنوا فقال ضاحكا

ـ آه ! ماريت ، ما أظن الا أنك سترين بي الآن بغير ان تعرفيني أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد ياسيدى. ولقد جئت الى هنا وانتظرتك فى فندق لندره . وعندى رسالة أريد ان أعطيها لك وقد أحضرتها من بالرمو

ـ حسن ، فقد وصلت اليوم صباحا من تيورين ، وفضلت أن لاأذهب الى فندق لندره في ملابسي هذه وكيف تركت سيدك وسيدتك ؟

— هما في صحة

— هما اليوم فى تونس وقد وصلني تلغراف منهما اليوم

— فى تونس ؟ !

[illegible] ثم ، وستذهبان منها الي الجزائر ويبحران الى مارسيليا [illegible] في تلغرافهما اليوم أنهما يطلبان السيده أن تنتظر انهما هناك في فندق اللوفر ، أما عن العلبة ، فسأنتظرك عند باب الكنيسة آنيونزاتا

— وفى أى وقت ياسيدى ؟

— فى نحو الساعة الخامسة

وكنت أنظر اليه فأجد ملامح الصانع الايطالى ورأيته يحسن الكلام بالطليانية

ولكن لم كل هذا . ماهذا السر الذي يحيط بهؤلاء جميعا ؟ وقد رأيت مونشير كورتني فى زى الرجال ذوي المكانة من قبل

وسألته عن زوجه فقال انها اليوم في لندن في فندق والدروف وقال

— اني سأسافر الليلة الى لندن

— طبعا في هذه الملابس

ثم ضحكنا ، وافترقنا

وفى نحو الساعة الخامسة التقينا في المكان المعين ، وكان يلبس فى غير زيه الذي التقيت به قبيل ساعة ، وكان يلبس بذلة

سوداء ، وقبعة حمراء وكان مظهره كانه سائح انجليزى

فناولته العلبة التى تحوى السر الذي لم استطع ان اكتشفه وبعد أن شكرلى سار توا الي المحطة وكان يسير في الطريق الذي اسلكه ولكنى لم اصحبه لانه لم يدعني أفعل ، فسرت وكلى فكر في سفينة نوح وما تكنه

وفي صباح اليوم ، سرت كالا وامر الصادرة الى ، الى مارسيليا ، لانتظر سيدي هناك

يا آلهى ! ماهذه السراديب التى نمر بها في طريقنا من سان بيير دارينا الى الحدود حيث فنتاجيا وثمت نمر بمتنون ، ومونت كارلو ، ونيس وكان واخيرا الى مارسيليا

ولما وصلت في يوم الاثنين ، تناولت من البريد رسالة من سيدي . تطلب الى فيه أن انتظرها لانها ستتصل مع سيدي في يوم الخميس القادم

وفي اليوم الثانى اخذت سمتى طريق مارسيليا اتفرج على الحوانيت وما فيها ثم عدت الي الفندق وهناك وجدت زوارا كثيرين ، جاءوا اليه بعد وصول السفن من الهند

وصعدت الى حجرتي ، وما كدت استقر فيها ، حتى طرق

بابها طارق . ففتحته فاذا انا امام رجلين . قـدم نفسه أحدهما الى بقوله إنه أحد رجال البوليس وانني الساعة تحت امرته ، وفي قبضته يا للشيطان ! انهم قادونى الى محطة البوليس وغريب أن أجد صديقي بيجارد هناك . بيجارد ذلك السائح التاجر الذي يدعي انه أمين لتون

وقال وهو يضحك بعد أن اجلسني

— حسن ياسيدتي الآنسه . لقد ازعجناك وانا متألم جـدا من اجلك . لقد جئنا بك الى هنا لنسئلك بعض الأسئلة . فاذا اصدقتينا في القول برأنا ساحتك

— ولـكن ياسيدى لماذا جئتم لي الى هنا ؟

— اصبري ، وستعلمين كل شيء

ووضع لي اسئلة عن سيدى وسيدتي ، وقدفرا منه فى ميلان وقال لى

— وأين كنت اخيرا ؟

فاخبرته انهما ارسلا الى من بالرموعلبة

وسألني رئيس الشرط قائلا ،

— وهل عرفت مافى هذه العلبة ؟

— هدية غريبة — انها سفينة نوح ؟

وماذا في داخلها

فقررت انني لاأعرف شيئا

فقال

— المسئلة انني امسكت الرجل الذى يحمل سفينة نوح وفتحها فوجدت فى داخلها اوراقا ماليــة فرنسية وطليانية تبلغ قيمتها مائة الف وسبعماية فرنك

— ياللغرابه !

— والحقيقة التى نطلبها ياسيدتي المدموازيل اننا نطلب القبض على سيدتك وسيدك وهما طلبة نصف بوليس اوروبا

— طلبة البوليس ولماذا ؟

— ان مونشيرا سلي بوند او كبتين أثيرتون كما يسمى نفسه هو اكبر مزيف تمكن من أن يزيف أوراقا ماليه على بنك انجلترا من فئة العشرة جنيهات ، وهو كبير المزيفين وقد اكتشف بوليس لندن منزله فى هو تسلو بالقرب من لندن ، وهناك ضبط الكثير من الاوراق وكانوا يزيفون هذه الاوراق ويرسلونها الى كورنيش وغيرها ، حاملين معهما بعضا منها متنقلين الي المصارف لصرفها او

لايداعها بالبنوك ويبدلونها بالذهب ، وهم ينقلونها في سفن نوح
وقصصت قصة سيدتي على مونشير بجارد التي اخبرتنى بها
وشرحت له كيف انهما سيصلان في يوم الخميس القادم

و نتظرنا فلم يعودا

اما خسارتي فانني لم استلم اجرى لانني لم ار سيدى ولا سيدتي بعد: وهي ولا شك في كل بلد ينزلانها يبدلان مايشاءا من ورقهما وطبعا فان عندهما من المال مايكفيهما ان لا يعودا قريبا

اما مونشير كورتنى ، فقد قرات عنه فى جريدة الماتان انه حوكم في محكمة السين وحكم عليه بالحبس مع الاشغال الشاقة خمسا عشرة سنة

البيت الخامس

العصابة المجرمة

٢٩ يوليه

عدت الى لندن – في تلك البؤر المروعة، الى مكاتب التسجيل

آه ! أنت يامخدوم، سواءاً كنت سيداً أو سيدة، لاتعرف شيئا عما يقترفه القوم هنالك من صنوف الغش والخداع : هنالك حيث أسواق بيع الاجسام، حيث نصف الوظائف زائفة ولا قيمة لها، حيث العوائد المطلوبة يضيع فيها كل ماتحتفظ به الخادمة المسكينة – فاذا كانت صغيره، ومن سوء حظها جميلة، فستسعد لو انها لم تجد المحل الذى قادوها اليه

يا آلهي ! الست انا احدى اللائى نلن الكثير من التجاريب عن طريقها ! انها مصائد وؤر فساد، انها الجب الموبوء الذى ترى فيه اقبح مايمكن أن تراه فى لندن . ماذا يهم تلك السيدة التى تفتح مكتبا كهذا مادامت تنال اجرها، اجرها المقدور لها اضعافا لو استطاعت أن تقنع فتاة جميلة من انها ذاهبة الى محل محترم

آه ! أي دنيا هذه !

ولكن لا أريد أن اذكر في مذكراتي هذه كلمة عن ذلك الصنف من النسوة اللائي يستخدمنهن « كخادمة حجرة » وحسن لو أني لااذكر شيئا عن « مكاتب التخديم في لندن - وخير أن يتبين امرهن القاريء عندما اذكر له اني استخدمت ثمان مرات في ثلاثة اشهر ، ولم امض في احدها اكثر من ثلاث ايام - وكل واحدة من السيدات اللائي اخذتني كانت تقول عن نفسها انها سيده ثرية ، وانها ذات مقام مشكور

وكنت ادفع عن كل محل من المحال الثمانية ثلاثة في المائة من اجر سنة كاملة لكل مرة !

يا للشيطان ! انني استطيع أن افضح أمر هذه الامكنة من أجل الانسانية ومن اجل الضحيات المسكينات !

بعد ثلاثة أشهر من الحادثه التي ذكرتها قبلا اشتغلت في بيت كبير في قريه اسمه (بيت همبوري لايبعد عن توفن في ديفونشير)

وكان يسكنه كل من مونشير ومدام الاين زوجته منذ خمس سنوات وكان منزلها فخما ، مفروشا احسن فرش . ففيه المقاعد المتقنة الصنع ، وفيه الابسطة الجيدة ، وفيه حجرة الاكل المزخرفة

الزخرفة كلها ، وعلى حوائطها الصور ، وفي البيت غيري ، سبعة من البنات الخادمات ، وستة من البستانيين، ووصيفة وخادم سفرة، وسائق اتومبيل وغيره من الخدم

عرفت أن هذا البيت يصلح لي فان حجر الخدم في غير هذا البيت تكون حجرا بسيطة فى كل شيء ، مهملة ، وليس فيها الا مقعدا مثلا ومكان مرتفع فيه فرش النوم ، وقد عشت فى بيت ايرل انجليزي في جهة ما ، فكانت حجرتي غير مفروشة ، وليس فيها بساط ما ، ولكن هنا فان المسألة على العكس اذ الحجر مفروشة فرشا جيدا ، ومنظمة ، وفي كل حجرة (كرسي هزاز) ليرتاح عليه الخادم ، فيا للدهشة

انى احب بلاد الانجليز لما فيها من متناقضات ، ومن نافذتي كنت اطل على متسع عظيم وحول البيت مجموعة من الاشجار الباسقة الخضراء ، وبالاختصار فان المناظر الجميلة التى تحيط البيت كانت مناظر تبهج العين وتسر الخاطر

وكانت سيدتى طويلة ، نحيفة ، تبلغ الثامنة والعشرين من العمر ، ذات عيون زرقاء ، تلبس ملابس قصيرة الاذيال ، ولها شغف بالملاهي والالعاب الرياضية ، فكانت تصيد الطير والاسماك

وتلعب الجولف ، وتـفوق عرية زوجها الـكبيرة ذات الستة السلندرات ، وبالاختصار فانه لاتمر بها لعبة من الالعاب الا وتعلق بها ، وكانت تلبس بالنهار ملابس هذه اللعب الخشنة ، بينما يجيء الليل فتلبس أحسن الملابس وأحلاها ، وأرقها صنعا ، وكانت تلبس ملابسها الداخلية من أرقها صنعا ، وكانت تتعطر أجود الروائح وأكثرها انتشارا

كانت تمشط شعرها ، وتحبك وضعه تحت قبعتها ، وكان في تنميقها وتزيينها هذا تظهر في أحسن المظاهر وأشبهها للناوس وكنت اذا جاء الليل ، وقد أحسنت اليها فى تنظيم ملابسها ، وتوضيب شعرها ، وتنميق زيها ، رأيتها في غير الزي الذي كنت أراها به في نهارها

كانت تهتم بملابسها كل الاهتمام ، وتغضب من أجله ، ولكنها كانت وديعة ، لطيفة

وأما السيد فكان يختلف عنها فى كثير من صفاتها ، لقد كان بشوشا دائما يهتم كثيرا بشؤون الحياة ، ويسعي من أجلها ولا يهمل نفسه البتة ، ففى الساعة التى يستطيع أن يركب فيها مركبة ، لا يقتصد فيسير على قدميه ، وكان يبلغ الأربعين ، رقيقا ،

بيضاوى الوجه ، وكان يمضي أكثر وقته في مكتبه ، ويجلس في كرسي كبير وقد وضع رجلا على الاخرى ويضع في فمه سيجارا ، وعلى مكتبه كاس من الوسكي والصودا يختفى وراء مجموعة من الكتب

ورأيته فى أول مرة وهو يكاد يكون غافلا عن كل شيء ، وفي يوم ما أرسلتنى سيدتي اليه برسالة ، فذهبت ووحدته يجلس كما وصفت

وكان جو الحجرة مشبعا بالدخان

ووضع الجريدة التى كان يطالعها وأخذ ينظر الى ، واصغي الى الرسالة التى حملتها ثم قال

« أتعرفين ياعزيزتى ماريبت أنك جميلة ؟ »

فما أدق صنعك ، فم صغير ، وأنف أقنى ويدان صغيرتان ؟ وياما أحيلى عيناك الكبيرتان : وى ! انك تجعلين قلبي يضطرب كلما اقتربت منى !

فقلت مذعورة

— سيدى !

فقال

— أليست هي الحقيقة ياماريت ، انه من الخطأ أن تستبقي زوجتي فتاة جميلة مثلك تحت سقف بيتها

فهزت كتفي لانني لم أكن متعودا أن أسمع مثل هـذا الثناء من سيدي وقام من مكانه ثم قال ياماريت أنا ـ أنا ...

ولـكنني لم اسمح له فرصة أخري ليتكلم فيها بل خرجت مسرعة وتركت الحجرة . آه ما أغرب هؤلاء الرجال !

وأغرب مافي الموضوع أن ليس يحضر للبيت زوار وأن لا يعلم فيها ضيف والسبب من أجل ذلك أن السيد يداعب كل فتاة يراها وطبعي ان السيدة تقوم بنصيبها في هذا الموضوع

وكان سائق السيارة جميل الطلعة حلو الشمائل عذب المنطق جذابا وكنت التقي به مرات كثيرات فيقص على سمعي الشيء الكثير الذي لفت نظري ، وحرك في نفسي شهوة التطلع

ومرت بضع أيام جرت بين السيد والسيدة حوادث مروعة وتهديدات ، الامر الذى أزعجنى وجعلني أفكر كثيرا جداً

في صباح يوم ما في نحو الساعة الحادية عشرة كانت السيدة تقيس مشدين ، من هذا النوع الانجليزى الطويل ، وكنت أ أصحصهما ، أجربهما ، واذا بالسيد يسرع الى حجرة الزينة ، وعلى

وجهه شارات الغضب ، وأخذ يرمى زوجته بأقبح الألفاظ ، قائلا انها عديمة التربية ، رديئة الاصل ، يقذف عليها القاذع من الألفاظ مما لم أعرفه ولم أسمع به من قبل

وقالت شامخة :

— والآن ؟ ماذا تقصد بكل هذا ؟ وماذا تريد ؟ أليس يخجلك عملك ؟ قل ماذا تريد ؟

— ليس لك شأن معى ؟ سأمنعك من كل ما تعملين ، وسأمنعك من الخروج . أتسمعين ،

— ماريت ، اخرجي الآن

وأطعت أمرها ،

ولم أكد أترك الغرفة حتى سمعت سيدتي تستغيث ، فاسرعت اليها ووجدت السيد قد أمسك بعنقها وبيده مسدس يشهره على رأسها

فقفزت اليه ، وجاهدت كثيراً جداً حتى تمكنت من أخذ المسدس من يده ، ورأيته غاضبا جداً ، وهو سكران أيضا ، وكانت أمثال هذه الحوادث كثيرة فى هذا البيت ، وانها لمناظر محزنة جدا لو أنها جرت فى غير هذا الشارع لعدها الناس توحشا ،

ولا عتبرها الجيران شيئا معيبا جدا

وبالغرابة الحياة تقم هذين المخلوقين، ففي ساعة تراهما حبيبين مخلصين، يفيضان عطفا وحنانا، وفي ساعة أخرى يقيمان ثورة مروعة

وكانت السيدة تغار جداً، وكانت تمثل أدوارا مضحكة في بعض الاحيان تقضي بها غيرتها، ولا ننسى أيضا أن السيد كان كثيراً جداً ما يسعي في أن يجلب سعادة لهذا البيت فيضحك ويلعب، ولكنه كان من جهة اخري كثير الشغف بالوجوه الجميلة، والكثيرات من النسوة يقلن أن الرجال اذا ماتزوجوا انقطعت صلتهم بالعالم، وحبسوا انفسهم في بيوتهم وقصروا أشخاصهم على زوجاتهم، وهذا رأي لاأقرهن عليه، أنه يطيب لهم مداعبة الحسان ويحتالون من أجلهن، ويتفننون فى الوصول اليهن

على أن هذين الزوجين رغم مايملكون من سبيل للحصول على المال، ورغم أن السيد صاحب البيت ينال أجرا كبيرا من احدي الفاوريقات في بليموث، فان حياتهما كانت شقية، بل لترى أن كل هذا المال لم يجدهما نفعا في جلب المسرات

وكانت السيدة تختفي عن السيد فى كل دخائلها، وتعمل أعمالا

لاتصل الى اسماعه ، كذلك كانت تتعاطى المورفين ، والسيد لا يعلم
شيئا عن هذا كله

وذكر لي سائق السيارة مرة ، ان لسيدتى علاقة بالميجور
هربارت وارد ، اذ قال لى

ـ انني اركبتها اليوم صباحا الى توركى وتركتها هناك وذهبت
الى (الجراج) وأمضيت فيه نيفا وثلاث ساعات وهناك قابلته
الميجور وتناولت الغداء معه .وافترقا أمام دار البوسطة ولكنهما لم يرانى

فوجمت من الخبر ، ولم أصدقه

فقال

ـ لماذا ياعزيزني ، انها تقابله دائما وأمس كان في هبني وود
فى نحو الساعة الثالثة ينتظرها

ـ أصحبتها هذه جديده ؟

ـ لا ، انهما يعرفان بعضهما منذ سنة تقريبا ، وكان سيدي
فى اكسيتر

ـ قبل زواجها ؟

ـ لا ،ولكن المضحك في الموضوع أن السيد يتكلم عن أشخاص
آخرين ، ويتهمها مع الغير ولم يعرف الى الآن الشخص الحقيقي

ـ وليس هـذا غريبا ، فان الزوج يكون آخر المكتشفين دائما اليس كذلك ؟

ولو كان لى زوجة كهذه لعصرت عنقها الجميل

والآن فانني دهشة جدا من اعمال سيدى ويقظنه اليقظـة كلها لـكل الذي تأتيه من حركة ، ولا أدرى مصدر هـذه اليقظة لأنى إمرأة وفي المرأة مثـل هـذه اليقظة والانتباه ، وهي أبدا تفحص وتتطلع ، أم لشيء آخر لاأستطيع أن ادرك كنهه ، انى الآن افتح كلا من أذنى وعيني

وغريب الامر أن السيدة لاتذكر الميجور بشيء ، ولا تذكر ماله علاقة به ، بل لاتذكر الاماكن التى تلتقى به فيها ، وقد أمر السيد إنه إذا ماسأل أحد عن السيدة أن يقولوا عنها أنها « غير موجودة »

ومرت مدة طويلة لم أوفق فيها الى التحقق مما ذكره لى السائق فأن السيـدة كانت تخفي كل مايشتم منه علاقتها بالميجور

ورأيتها مرة معه فى ناحيـة من النواحى واقفة تحت شجرة ما ، فى طريق ما ، تكلمه

أما هو فكان طويلا ، أسمر ، أشيب يلبس قبعه خضراء ، وكأنها كانت تلتقى به مرغمة ، لأن هنالك قوه مؤثرة عليهـا

لانعرف مصدرها .

ولم أكن أعلم شيئا من قبل ، ولـكن كان لكلام السيد الذى سمعته مالفت نظري أيضا ، فانه دعاها الى الخوف والرهبة ، والمرأة التى يهينها زوجها ويقسو عليها تحترمه الاحترام كله ، وتحبه وتتملق به

وأشارت السيدة اشارة قاسية وأسرعت الى زوجها وتعلقت به ولـكنه ازاحها عن نفسه بقسوة

يالله ! انه لحب غريب !

وبقيت مادام في حجرتها في تلك الليلة مضطربة ، صفراء ، وكان السيد فى لندن وعلى ذلك لم تبرح الحجرة للشفاء وتناولت قليلا من الشربة . وقليلا أيضا من الشراب وقعدت على مقعد هنالك وكنت أجلس بالقرب منها أرتق فتقا فى أحد فساتينها ، وكنت أحاول أن أتجاهل الامر كلية ، ولكنى كنت ارقب كل شيء

يالدهشة ! لكل سيدة سر تخفيه عن زوجها فاحداهن تشرب الخمر ، أو تتناول مخدرا ، أو تحب ، ولكن هذا السر ينكشف للوصيفة لانها اعلق بالسيدة واعلم بها

وبينا كنت اجلس واعمل في عملي دقت الساعة التاسعة

فتنهدت السيدة من اعماق نفسها تنهدة (تفلق الحجر) ، فرمقتها بعيني ووجدت دموعها تنحدر من عينيها

يالها من غريبة ! أن شارع همبرى شارع عظيم ، ومكان حسن ولكنه كان للسيدة كالقفص الذهبي

وذهبت لأتناول العشاء ، ولما عدت وجدت السيدة قد اخرجت كل ماتملك من حلى ، ووضعته فوق المنضدة ، ووجدت الحلى فى جملته مجموعة نفيسة ، ووجدتها تنظر اليها

وقد عملت هذا العمل مرات ، وفى فرص كثيرة ، وكانت تهتم بمثل هذه الاشياء الجميلة الظريفة ، وهي في هذا كالطفل ، فكان اذا احضر لها السيد حلية من الحلى وضعتها فى ناحية وأخذت تنظر اليها وتمتع عينيها بها قبل أن تلبسها

وكان صندوق حلى الماس مفتوحا ، وضوء المصابيح الكهربائية يزيد فى لألائها

وقد رأيته مرات كثيرة ولكنها لم تلبس شيئا منها منذ خدمتى لها

وقالت لى :

ــ ماريت انظرى ؟ الست تري هذ التارا الماسية جميلة ؟

لقد اهدانيها أبي فى زواجى ، فدعيني البسها أياها ، دعيني أراها بنفسي والبستني اياها ، بعد أن ابست شعرها المرة فنظرت الى وقالت

ـ يا لجمالها ! أنها عظيمة جدا .

ـــ انها جميلة ، لماذا لا تلبسيها فى الخميس القادم فى الحفلة الراقصة في توركى ؟

فقالت

ـ لا ياماريت

ثم تنهدت ، وأمرتني أن احضر لها ملابسها ورأيتها خلسة في اضطراباتها

وبينا كنت انظم شعر السيدة ، دق جرس التليفون ، وحضر الخادم يعلننا أن السيدة مطلوبة ، قائلا أن بعضهم في بليموث تريد أن اكلمها ، فاضطرت أن تذهب الي المكتبة ، وسمعتها تتكلم بسرعة وتركت التليفون ، وصعدت السلم تترنح وكان يعلو وجهها بياض ناصع

ورأيت يديها الصغيرتين ترتجفان ، ورأيت فى عينيها شبح الهم والغم ، وذلك مالم أره من قبل

فماذا بلغها ، حتى غير منها ! وبدل !

ليست سيدتي بالسيدة السريعة التأثير التي تضطرب لاقل شيء ، لا انها ليست بالسهل ، انها كغيرها من بنات الالعاب، عندهن شيء من التؤدة ، ولكنها بعد أن تكلمت بالتليفون اصابها حنق وغضب شديدان جداً

فاقتربت واخذت اخفف عنها ، وأسليها ، ولكنني تعبت جداً ، واخيراً جمعت مابقي لها من قوة وقالت :

— آه ياماريبت ! لو انك عرفت دخائل حياتي وما فيها من تعاسة لاشفقت علي ، أنك خادمة وخادمة فقط ولكنني أطلب أن تكوني مكاني وأن أكون مكانك

قلت :

— انني اتألم من أجلك ياسيدتي ، واتألم لما أنت فيه من متاعب وشقاء ، فهل استطيع أن أقدم بعمل ما يخفف عنك بلاويك وآلامك ؟

— آسفة ، لاتسي ! فسري يجب أن يبقي سراً ابداً ، انني اعرف تماما أنه يجب أن يبقي سراً ابداً ، انني اعرف تماما أنه يجب أن انال حقي من الالم ، وان ظل فيما انا فيه من شقاء

ـ انني أتألم ، وانني أمينة فهل لك أن تثقي بي ؟

— أعرف ذلك ، وأعرف انك موضع ثقة

وجلست واجهشت فى البكاء ، فاخذت دموعها تنساب على خديها ، وأصابتها ضائقة صدرية مؤلمة

وكانت الساعة الحادية عشرة فتناولت قليلا من المورفين . وذهبت الي الفراش لتنام ملء عينيها ، وتحلم ألذ الاحلام ، وتمسى

وقد نسيت أن أخبرك أن سيدتي كانت تكلم ميجوروارد

ولما نامت سيدتي ذهبت الى حجرة الخادمين وقابلت جاك ، وهناك سألته أخباره عن ميجور وارد ولم اذكر له شيئ عن سيدتي وعما شاهده فقال لى

— أنه صديقها ، وصديق عظيم جدا ، وفي الصيف الماضى أمضياه في لندن يلتقيان ويمضيان طوال الساعات معا ، وطبعي فان السيده لم تقم شيئا وأظن انه يعلم الآن شيئا من كويسير ، وقد التقيت به أخيرا فى كمبتون وساندون ، وأظنه يريد أن يأتي الى هنا ، الى كلافورد ليكون قريبا

فقلت له

— اتعتقد تماما انهما يحبان بعضهما ؟

— يحبان بعضهما !! لماذا ! ألا تدري أن سيدي كان فى الشتاء

الماضي في مصر . وكانت سيدتي مع الميجور هنا يمضيان كل لياليهما معا في كارلتون أو سافوي. ويتناولان العشاء معا . وكنت أحضرهما يمضي الي التياترو ، ثم آخذ السيدة الي بيتها وطبعا فانني كتمت الحكاية كلها ولم أقلها لأحد ، فان سائق الاتوموبيل يري كل شيء ولا يحسن أن يتكلم عن شيء

قال هذا ثم ضحك

ـ وايضا يجب ان تكون الوصيفة

واذا كان ماذكره جاك حقيقة ، فان السيدة والميجور يكونان قد تشاجرا معا

وفي الصباح ، لما أخذت بريد سيدتي كانت لم تزل نائمة ، ولما استيقظت رأت البريد وأخذت من بينه واحدا وأسرعت في فتح مظروفه وأخذت تقرأه بلهفة ، ثم صرخت صرخة دوت في الحجرة وانتصبت جالسة في فراشها ، يائسة وأخذت تحملق في أمامها فاتحة فاها

فقلت

ـ أسيدتي مريضة ؟ ، هل أستطيع أن أقوم بعمل ما ؟

ـ لاشيء ياماريت

وجمعت الباقيات عن قواها وأرسلتني الي الطباخ برسالة

تدهشني هـذه الحجرات اللائي بالأثاث الثمين ، والتي لايدخلها أحد لأن سيدتى دائما . غير موجودة بالمنزل »

سيدتى ! جميلة ، حسنة الهندام ، معتدلة القوام ، تنتحر بما تتناوله من المورفين

يا آلهي ! لقد رأيت حوادث كثيرة مروعة من جراء هذه المساحيق المخدره فأعجب أرهبها ، يالك أيتها الابرة اللعينة ! انك تحملين الأذى الي أجسام الناس ، فتخلقين لهم جنة لاتدوم الا قليلا ، ـ ويالهذه الاشباح . التي تتراءي لعيني والتي دفع بها الخمر والمخدرات ، والتي كانت هذه سببا فيها ؛ وبالتأثير هذه العقول !

وهكذا هي مدام الين تشقي في دقيقة ، وتسعد في دقيقة أخرى ، تتألم ساعة ، وتهنأ أخرى : وانها لأحق بالاشفاق

وانه السائق ليعلم الشيء الكثير عن السيدات ويعرف مواطن الذلة فيهن قد تحول منها دفعة واحدة الى سيدتى ، ولامها كل اللوم ، أما أنا واعلم الشيء الكثير فقد أخذت أدافع عنها ، أما السيد في حد ذاته فلم يكن كما تصفه زوجته

ويالشقاء رجل يتزوج من امرأة كهذه في مزاجها

وكانت حجرة جلوس مدام اللين مفروشة بأجود الأثاث وكان بها خير المقاعد وأرقها

وفى ليلة مابقيت هناك تطالع، وليست كعادتها، وبقيت انتظرها طويلا حتي نمت في مكاني، ولما استيقظت وجدت نفسي في الساعة الاولى بعد منتصف الليل

وكان البيت ساكنا سكون الموت، وقد نام كل من فيه

فتسللت من مكانى وأخذت السلم الى حجرتي. ظنا مني أن سيدتي قد نامت فى الموضع الذي تركتها فيه

وتسمعت الى الباب، فوجدت صوتا خارجا منه، يدل على شدة التألم

وفتحت الباب بهوادة، وبغير أن أطرقه وهناك وجدت ماأدهشني، اذ رأيت السيدة بيضاء الوجه كالشمعة، تضطرب، واقفة ترتكز على كرسى، وهى تنتفض، بينا في ناحية من الحجرة رأيت رجلا يلبس بذلة سوداء، وفى زي اللعب

ورأيت في أرض الحجرة شيئا يلمع، واذا هو خاتم السيدة وبنظرة واحدة المت فيها أن شيئا خطرا قد كان

ورأيت رقبتها البيضاء مضغوطة ضغطا مؤلما ، وفيها جرح يدمي ، ورأيت العقد الذى كنت لبسته منذ القليل قد فقد ! ولم أجد فى يدها سوارها الماسى

وي ، عرفت كل شيء

وكانت تقف مغمضة عينها ، وهى تعبة جدا

فقلت

ـ سيدتي ، أسرقت ! هل أدق الجرس

انى رأيت اللص

و بينما كنت اخطو الى الجرس ، قالت :

ـ لا ، لا لاتفعلي ياماريت ، لاتقولى شيئا ، لاتقولي شيئا عما رأيتيه افهمت ؟

ـ كما تريد سيدتي ، غير اني رأيت رجلا

ـ أرأيت وجهه ؟

ـ لا ياسيدتي

ولما نطقت بجماتى هذه تنهدت من اعماق قلبها ، كأنها قد رفعت حملا ثقيلا عن صدرها

والحقيقة اني لم ار وجهه . ولكنني لم اشك في ان هـذا

الزائر كان هو الميجور دون غيره

فقالت :

اغلقي هذا الباب فانني ذاهبة الى فراشي

فاخترقت الحجرة الي حيث الباب ، لاغلقه كما امرت ، واذ افعل ذلك فاسمع طلقا ناريا فى احد الاحراش القريبة من البيت ، فاضطرب كلانا ، ونظر كل منا الي الآخر

وابيض وجه السيدة وقالت

ـ اغلقي الباب ! دعينا نذهب الي الفراش سريعا ، حذارى من أن يعلم أحد ما ، تجاهلى كل شىء تماما

وكانت ترتعد من اخمص قدميها الى أم رأسها ، بينما كنا نصعد السلم الي حجرة النوم

ياآلهى ! لابد ان يكون في الامرسرهائل جدا ، انها ولاشك تعلم السبب الذي من اجله أطلق هذا الطلق الناري

ومر اليوم الثاني ، ولم اعثر فيه بخبر جديد ، وامضت السيدة طول يومها فى حجرتها

ولم ألمح في وجوه الخدم شيئا يدل على علمهم بشىء ما ، أو انهم سمعوا صوت الطلق النارى

وبعد يومين ، بينا كانت السيدة في الحديقة ، اخذت مفتاح صندوق الحلى الذى وجدته في درج هناك فى حجرة الزينة وفتحت الصندوق وأخذت انظر فيه

فوجدت علبة (التيارا) ولم أجدها ، ولم اجد اكثر من نصف الحلى

وفى هذه الليلة عاد السيد من لندن مكفهر الوجه ، عابساً . وبعد العشاء ، بدأ الشجار بينهما كالعادة ، وكانت السيدة تؤاخذه على اهتمامه بسيدة لم أفطن الي اسمها ، ويا ليت سيدى يعلم أمر واقع نصف الليلة الماضية !

ولم تأت الساعة الحادية عشرة حتى انتهت الزوبعة واصطلحا الزوجان ، واطمأنت السيدة لعودة زوجها وارتاحت لها

وقالت وكنت اسرح لها شعرها

ـ ماريت ، اذا عرض عليك سيدك شيئا تشمين منه رائحة المعرفة عن شيء ما ، فانكري كل شيء

فقلت لها :

ـ انني لا افكر فى هذا الموضوع البتة

ـ واذا سألك عن صندوق الحلى فاذكري له انني فقدته

سوما هو فاحتفظى به من أجلى

فاخذت المفتاح الى حجرتي ، وأخفيتـه ، والسبب طبعا كان ظاهرا ، فانها ارادت أن تخفي عن زوجها ضياع حليها

ولا بد أن يكون الميجور هو الذي اغتصب منها حليها ، ولا بد أنه هو الذى سرقها ، فيا لهذا الحبيب ؟

ومر أسبوعان لم يحصل فيها شيء ما وفى يوم كان السيد غائبا عن البيت وصلها تلغراف اسلمته اليها ، ففضت غلافه وقرأته ، وعلا وجهها بعض القطوب

وامسكت انفاسها بعض دقائق ثم وضعت يدها على صدرها ، ثم قالت هامسة :

ـ ماريت ، يجب أن اسافر الي لندن حالا : فاسرعى وضعى بعض ملابسي فى حقيبـة وها أنا اساعدك في هـذا العمـل ، ستذهبين معى الى لندن ؛ فلنسرع حتي نقوم بقطار الساعة الرابعة الا ربع

ـ الى لندن !

واسرعت اجمع الملابس اللازمة ، بينا كانت مدام جالسـة تكتب رسالة الي السيد

وبعـد قليـل أسرع بنا السائق الي محطة تونتز ؛ فوصلنا

فى الدقيقة التى سيقوم فيها القطار وصعدنا اليه وسار القطار ثم تركناه هناك وقصدنا كارلتون ، وقد سبق أن خابرنا مديرها ليحجز حجراً هناك

وفى أثناء تجوالنا كانت السيدة جادة فى نفسها ، كان لا بد أن احصل ما كدر الخاطر ، وماذا كان من أمر السيد معها ؟ أنني لمدهوشة جدا من أمر تلك الطلقة التى سمعتها ليلا

وفى الصباح ، قدم السائق الي حجرة الزيارات يحمل بطاقة ويعلمنا بقدوم الميجور ، وبعد قليل حضر الميجور وهو رجل طويل رفيع جميل الهندام ، بعيون سوداء ، وشارب مرفوع واسرعت الى حجرة مجاورة وأغلقت الباب

ولا انس انني وضعت اذني على فتحة الباب لاتسمع مايقال وسمعتهما في تحياتهما

وقالت السيدة

ماذا ؟ ماالذي دفع بك لحضورك الي هنا ؟

ـ جئت لانني أريد أن أراك يا سيدتي . أريد أن أعطيك آخر فرصة ، ربما لاتعرفين شيئا عما جري بعد أن تركتنا في همبري ، فقد كان زوجك فيليب ينتظر فى الطريق . وقد ظن انني عدوه اندودويليا مسون ، فلم يكن منه الا أن اطلق النار على ثم اسرع

الي لندن ، ظنا منه انه قتل الرجل الذى اطلق عليه النار ، ولكنه لم يفعل ، بل كل الذي كان أن الطلق اصابني في كتفي واني بقيت اتألم منه مدة

— لم تكن هذه غلطتي

ـ لا ؟ أنه كان من سوء حظي ، ولم أكن أستطيع أن احتفظ بنفسي ، لقد كان الظلام شديدا فلم يستطع أن يري شيئا - ولكنه كان يترصد وليا مسون ليقتله !

ـ اذن انت تشهد أنه شارع فى قتل اليس كذلك؟ وماذا أيضا

ـ لاشيء ، غير أنني في حاجة الي قليـل من المال ، ويجب أن أحصل عليه ، أسمعت فصرخت السيدة قائلة

— دائما اسمع هذه الحكاية ، مال مال ، فكر فيما اخذته منى فى هذه الشهور الماضيـة فى الثمانية عشر شهرا ، لقد أخذت فيها وثلاثة آلاف جنيـه ، وأخـذت جميع حلى ، ولو عرف فيليب ، فانني ولاشك هالـكة

ـ طبعا أنه لن يعرف شيئا مادمت عاقلة ، وأما أنا فاحتفظ بهذا السر احتفاظا شديدا جدا

ثم ضحك بملء شدقيه

وقالت مدام.

ـ الست تشكرني ؟ أما فى قلبك شىء من الرحمة ! فكر في نصيبي منك ، أما ترى أنني أعرض نفسى لسوء السمعة ، وأعرض اسمي لكل المرذولات، ولا ينالني منك الا الشقاء والعذاب

فقال

ليس فى الامر مايدعو الى هذا ، أنه يجب أن تقدمي الي الفين آخرين ولا تنقصيها شيئا ما والا فانني سأذهب حالا الى فيليب وأقص عليه الحكاية كلها وسيصدقني ولاشك والبراهين قائمة ، ، وماعليه الا أن يحاسبك عن مالك ويسألك عن حليك ، والمسئلة بسيطة فسيجيء دوري بعد والانتقام الا نتقام كله

فقالت صارخة

ـ أنك شيطان ولا شك ! ن قلبك انقلب على صخرا ء أن هناك امرأة تدفع بك الى لانتقام مني ، اني رأيتك تسير معها فى شارع البرنس منذ شهر وهي ولا شك تكرهني الكره كله

ـ لاشأن لك فى هذا والمسئلة لاتحتاج الى كل هذا العناء ولا دخل لمثل هذه الحوادث في موضوعنا ، انك تريدين ان اسكت، ولسكوتي هذا ثمن يجب أن تدفعيه

ويجب أن ادفعه غاليا ، يا للاسف ! ولو احسنت لذهبت توا الى فيليب وقلت له كل شيء بنفسي ، وامنت بعده واسترحت من هذا العناء ولكنني ضعيفة ، امية بين يديك

- يسرني ذلك ويسرني أن تفكري فيه مليا ، وأن تقولى الحقيقة ، وحسن جدا ان تفكري ايضا فى موضوعنا

- والآن فدعت أملك شيئا لا كثيرا ولا قليلا من المال ، أنني لا أستطيع أن ادفع لك شيئاما . انني أرسلت اليك كل ماأملك فلم يعد فى البنك شيء ما

- وفيليب غنى ، تستطيعين أن تأخذى منه شيئا ، وتستطيعين أن تحتالى من اجله

- وكيف افعل ، ولو سألته أن يدفع مثل هذه القيمة لطلب الي أن يري دفتر الشيكات الخاص بي وهناك ينفضح أمري ويعرف الخبر كله

— عزيزتى ، من هذا . أننى أريد المال باية كيفية كانت.أنا أريد المال ويجب ان احصل عليه ولا تهمنى الوسائل

وقالت السيدة بيأس

- ليس شيء . لا استطيع دفع هذا المال

ـ حسن ، وانت تعرفين النتيجة اذن

ـ النتيجة هلاكي ! نعم ياسيدى اعرف ذلك ! ثم اخذت تبكي.

ـ لا تكونى مجنونة . فما جئت هنا لانظر فصلا من رواية ما، انني جئت لعمل معك . عمل جدى بحت : فادفعي الالفين وستقف المسئلة عند هذا الحد ، وكما اخبرتك من قبل : ادفعي هذا المبلغ واذا شئت كتبت لك اعترافا اقول فيه ان كل ما قوم به من عمل او قول ان هو الا محض افتراء، ومن حسن الحظ ان ليس لاحد ان يقيم برهانا ما على صحة ما ادعيه الا انا

ـ ومن سيصدق دعوانا ان هذا افتراء؟ ان فيليب اذا وصلته اية كلمة بعد فلا يستطيع احد ان يقول له إن هـذا كذب . وطبعى فانني سأنال نصيبي من الاذى فى كلا الحالتين

ــ فيليب لا يحلم انك كنت فى كيبتون، وهو لا يعرف شيئا عنى، أعطنى الالفي جنيه وسأعود مسرعا الى جنوب افريقيا، ولن تسمعى عنى شيئا بعد، و لا عنك ولا شك ستنالين جزاءك تدامت دوراهما، ويجب أن تنال جزاءك : واظن انه لن يكون نصيبه الا نقص الاتهام أليس كذلك يا اثيل ؟

فقالت وقد تملكها اليأس

ـ لا ، لا ،ما أظنك تعنى اساءتي الى هذا الحد ! وما اظنك تريد أن تكشف ستري !اليس كذلك ؟

ـ اسمعي . ليس الأمر كما تظنين . انا مضطرب كل الاضطراب وقد جرت أمور مروعة . وأنا اختفي عن اعين الناس . وأريد أن اترك لندن حالا . ومن إجل هـذا اعتمد عليك الاعتماد كله . الا يحسن بنا أن نفر جماعة من قفص الاتهام أما تري انه ليس يصح بنا أن نتقدم كمجرمين الي المحكمة ؟

فسكتت السيدة . وهى مدهوشة جدا

وقال

ـ تعالي . اعطني المال : ولن نلتقي بعد .

ـ وما هو الضمان لى ؟

ـ سأكتب لك ماتشائين ، واعترف فيه بكل مايدفع عنك اللوم مهما كلفني ذلك . معترفا أيضا بحادثة ديوكين . فاذا قيل شيء عنك فاظهرى هذه الوثيقة وهى ضدي طبعا

وساد السكوت

وسمعت هفهفة فستان سيدتي وهى تذهب وتجيء فى الحجره وقد تدخل الحجرة التي اختفى فيها . وكنت أخاف عملها

هذا . فتركت الحجرة وسرت في الدهليز وبقيت فيه عشر دقائق لاسمع فلا اسمع شيئا ، وعدت الى مكاني فسمعت الميجور يقول لها

ـ أقر أيها اترضيك هذه ؟

ثم ساد سكون

فاجابت السيدة انها راضية بما فيها وقدمت اليه المال المطلوب

ولكن من أين جاء هذا المال ؟ لا ادري انه سيظل سرا لا يمكنني أن اعرفه

وتركت الحجرة . ولما عدت كان ضيف سيدتي قد تركها ورأيته ينزل السلم ضاحكا ساخرا

وسألتني سيدتي اين كنت ، فقلت لها انني كنت فى الدور الأسفل فى حجره الخدم . ولم اكذب في هذا الخبر . والحقيقة انى نزلت ولكنني عدت فصعدت ثانية

وتغيرت سيدتي في كل الاسبوع فكانت فرحة مرحه بشوشة . وكان السبب ظاهرا . ازاحت عن نفسها هما ثقيلا كان مرتكزا على صدرها

وأمضينا يومين كاملين في لندن ثم تركناها الي ديفونشير وبينا كنا معاً فى الاوتوموبيل قالت سيدتى :

ـ اه ياماريت ما أجمل الحياة في غير لندن !

ومرت بعد ذلك أيام كان السيد والسيدة فى هناءة من العيش، وكانا يعيشين سعيدين

وفى الليلة الرابعه بعد عودتنا ، وفى نحو الساعة الثانيةونصفه بعد نصف الليل ، ضربت الاجراس القريبة من حجرة النوم الخاصة بنا فقمنا جميعا مزعوجين وسمعنا صوتا يقول

ـ لصوص !

فلم تقو زميلاتي على الكلام ؛ وأنيرت الغرف جميعها ، واختل البيت ، ودخل سائق الاتوموبيل الى حجرة السيد فتبعه جمهور من الخدم وتبعتهم

وما كدت أمسك بالسلم حتي سمعت طلقا ناريا ، وعقبه آخر وسمعنا صرخة شديدة قطعت السكون وكانت السيدة ! وبعد ثانية صرخ السيد من حجرة الطعام قائلا

ـ أسرعوا ! فان الرجل أطلق على النار !

فأسرعت الى حجرة سيدتي : وهناك وجدت جثة ملقاة على الارض . انه الرجل الذى قال عنه السيد ، انه الميجور وارد ! وعلى ما يظن فانه اقتحم الباب ودخل الى حجرة المكتبة وهناك استولى

على نحو سبعمائة جنيه بين أوراق مالية ، وذهب ، وكان كل من في البيت يجهل أن بالخزانة جرسا يدق عند ما تفتح ، وقد استيقظ السيد على صوته فاسرع الى حيث هو وقبض عليه في الساعة التي يحاول فيها الفرار

وكانت السيدة بالقرب من الجثة وقد صرخت الى قائلة

ـ امسكي برأسه يامار بيت

فلبيت نداءها

وبينما أفعل قال بصوت خافت

ـ سامحيني! سامحيني! أرجو أن لا يعرف أحد يا زوجتي ايثيل ؟

ثم تنهد من أعماق قلبه ثم سكت

والتقت عينها بعيني ، ولكن لا أدرى بأية كيفية استطاعت أن تماسك سيدتى

ولم يسمع أحد ماقاله غيرنا

وأمضيت سنتين معها بعد هذه الحادثة وكانت تثق بلك الثقة كلها ، وقد قصت على القصة بعد فانها اذ كانت تبلغ الثامنة عشرة ذهبت الى كيتون لزيارة خالها المزارع ، وهناك التقت بالميجور وارد وتزوجت به ، وعرفت بعد أنه قتل شابا اسمه ديوكانه

فرمت بخاتم الزواج ، واسرعت الى انجلند ، ولما بلغت العشرين
كانت في خدمة عائلة نبيلة ، وهناك التقت بالسيد وتزوجت به ،
وبعد أربع سنوات اكتشف الميجور أمرها ، وان زوجها الجديد
كان في جنوب أفريقيا ايضا وانه قتل شابا هناك اسمه ويلياسون
الذي غشه في لعبة ما فسرق منه ثلثمائة جنيه في جوهانسبرج
ولما علم بذلك الميجور أخبر أخاه ، فأخذ ثمن سكوته ، وبذلك فان
كلا من الزوج والزوجة في مأزق خطر ولكنهما لايعرفان عن
بعضهما شيئا ؟ !

أما السيدة فهي التى أعطت الرجل مفتاح الخزنة وهو الذي
رده اليها ؟ وطبعا أخذ منها النقود.

ولكن الزوج بقي جاهلا بالموضوع حتى قدم ثانية ليأخذ
من الخزنة مالا آخر

وقد أمضيت السنتين بعد في هناءة وسعادة وتركتهما من
أجل السيد اذ أصابته خسارة جسيمة في الأسهم والسندات ،
وذهب السيد مع زوجته الى فلورانس ، وهي المدينة التى يهاجر
اليها من اساءه الحظ وأراد أن يختفي عن الناس

البيت السادس

١٥ يناير .

يا آلهي ! عليك ان تشتغلى كوصيفة فى منزل وهناك ستعرفين الكثير من الغرائب ، وسيدهشك الاكثر من الاحوال

ولقد مرت بي حوادث غريبة في منزل هنكرز ، اخذت منها دروسا قيمة

فقد وصلنى كتاب فذهبت على اثره الي تلك البلدة العتيقة في كل شيء في مبانيها وطرقها واعني بها مدينة ستامفورد في لنكولنشير وقصدت الي شارع الشمال وهناك ذهبت الي أحد المنازل العريقة القديمة

ودخلت الي حجرة الضيوف وكانت فى نظام العهد الفيكتوري الغريب ، وكان في وسط الحجرة منضدة عليها بطاقة من الزهر وكانت النوافذ محاطة بالذباب

وجلست افكر فى سيدة البيت وانها تلبس قبعة ذات زهور منثوره على جوانبها وهي تهرول فى ملابسها ، ولكننى بهت اذ رأيت السيدة فى غير الزى الذي رسمته ، رأيتها سيدة صغيرة

ذات شعر جميل ، تلبس الجيد من الملابس ، وهي لاتزيد فى عمرها عن السادسة والعشرين ، وقد تقدمت الى باسم مسز هنكر

وجلست فى أحد المقاعد القديمة هناك واخذت تكلمني بالفرنسية ، فرأيتها تجيدها ونظرت الي الشهادات التى بيدى وأخذت تقرأها ثم تكلمنى بالفاظ حسان

وأخيراً اشتغلت عندها

وكانت الخادمة التى جئت لاحل محلها نصفا انجليزية ، واظنها من ذلك الصنف القديم الغريب فى لبسه وفي نظام حياته ولست استطيع ان أقدر ذوقها وما أغربه ؟ ورغم ذلك فان الكثيرات من السيدات الانجليزيات يطيب لهن عشرتهن ، والخادمة التى تستخدمها البيوت فى الملابس وفى اصلاح الشعر واعداد الملابس انما خلقت أهلا لهذا العمل وليست يمكن اخراجها من المطبخ

ومرت ثلاثة أيام المت فيها بشؤون منزل هنكر ، واعلم أنك اذا أردت أن تعرف الحياه كما هي وفى حقيقتها فاشتغل كوصيفة ، وكان اهل البيت يشكون سيدتهم فقد كانت نشطة ، ولكنها حمقاء قليلا ، وكان السيد يبلغ من العمر الاربعين محبوك القوى ، وكان بالمنزل ثلاث خادمات وخادما اسمه جرى

وكان البيت مهوش الترتيب ، الحجر بما فيها تدل على القدم
وليس لاهل البيت من صديق ، وكان السيد كثير الخروج من
البيت ولكن السيدة قل أن تبرحه واذا برحته استأجرت طومبيلا
ورغم أنها كانت تجيد ملابسها الا أنها كانت طويلة الاكمام
طويلة الذيل ! وكنت البس أحسن منها
وكانت عصبية المزاج . ولكنها كانت تعاملني معاملة حسنة
بينما كانت تسيء الى زميلاتي . ولكن لم يمض على نحو ثمانية
وأربعين ساعة حتى شممت رائحة شيء غريب في هذا البيت
وقد مرت بي تجاريب كثيرة . كانت ادعى الي تقريري
للحوادث التي أراها . والحكم عليها ولكن النتيجة التي وصلت
اليها بسرعة كانت عليها مسحة من الشبه
وفي ليلة ما كنت اسرح شعر سيدتي وهي تنظر في مرآتها
العتيقة . وبينما كنا نفعل تحولت الى بسرعة . وخاطبتني بالانجليزية
قائلة
ـ ماريت الك حبيب .
وادهشني السؤال وضحكت في فمي ، وامتلكت الخجل
وقالت لها

— لا ياسيدي

— ان فتاة مثلك ، ما أظنها وقد مرت بها الحوادث ومرت بها الايام على ما هي عليه من جمال ورواء لا تعدم أن تجد لها حبيبا يحسن عشرتها

فهززت كتفي وقررت أن السيدة تغرري وقالت أيضاً .

— ما اظنك في حاجة الي حبيب ما ، وقد يضل طريقه معك، فاذا اردت أن اتزوج تزوجت حرة من كل قيود الحب

فضحكت ثم قالت .

— حسن ، ما أجمل فلسفتك هذه ياماريت ، ولكن اعلمي أن المال هو السعادة ، فاذا لم تتمكني من الحصول عليه فلا أقل من أن تمسكي بقلب ما

فلم اعبأ بما تقول ، وكان السيد غائبا ، وهي دائما أبداً تتعشى منفردة، ورغم أن السيد يغيب في كل ليلة فانها تجد ملابسها ، وتحبك التواليت ، ولا يراها أحد غير الخادم جري

وفي اليوم التالى بينما كنت اعلق ملابسها سألتى قائلة

— ماذا تقولين عن ستامفورد ياماريت ؟ اليست هي لاتضارع اية بلد حللت بها ؟

— انها هادئة جداً ، وبعض شوارعها خالية ، وتنبت الاعشاب في بعض نواحي الشوارع

— لقد أصبت ، أما نحن فمضطرون الى الاقامة فيها ، والناس يدهشهم من أمري ان ليس لي صديق فيها وقد اشترى زوجي هذا البيت بما فيه من أثاث ، كما هو ، منذ سنتين ، وأما سكانه الاسبقون فكانوا سيدتين عجوزين وقد أشار علي الاطباء أن اسكن هنا في هذه البلد الهادئة ، فاضطر زوجي الى هذا اضطراراً وسأل صاحبتيه عما تطلباه من ثمن ، وقد اتموا البيع والشراء وجئت الى هذا المكان ،

أما زوجها فكان رجلا هادئا مفكراً ، وظننها تكذب في دعواها هذه ولا بد من حكمة لسكناها في هذا البلد المحل

وبعد اسبوع كنت صديقة (لجين) ، أحد الموظفين هنا ، وفي يوم ما قابلته في أحد شوارع المدينة ، فنظر الى وقال

— ان العائلة التى تعيشين معها سر من الاسرار فافتحي عينيك ، وستعرفين شيئا كثيراً

— سر وماذا ؟

وكنت أميل الى هذا الشاب ، وارى فيه ملاحة فابتسم وقال

— ستجدين شيئاً بعد إن كنت تديه يقظة .

— ماذا فى الامر ؟ هل هناك ما يؤاخذون عليه ؟

لكنه هز كتفيه وودعني وذهب وتركني في حيرتي

وياللشيطانى ! انى مأخوذة وعندي شكوك وريب كثيرة ولكنني لا أعرف ، وراقبت السيدة ، وتسمعت أقوال الزوجين عند عودة الزوج واجتماعه بزوجته وتقربت الى زميلاتي في البيت وتطلبت بعض الاخبار منهن ، ولكننى لم أوفق الى شيء

ومرت أسابيع ، وسافرت السيدة مع زوجها الى لندن ، ولم أصحبهما ، فبقيت هنا ولا عمل لى ، فامضيت بعد ظهر كل يوم في لاشي ، الا التنقل فى المدينة والنظر الي آثارها ، وكنائسها واسواقها ، وفي بعض الاحيان كنت اتنزه على شاطيء نهر ويللاند

وكثيراً ما كنت اتنزه مع جين فالنسي ، واذا لم التق به كنت أحس بوحشة ، وكان يطيب لى أن التقي بمن استطيع ان اتكلم معه بالفرنسية

وفي ليلة ما بينا كنا نسير معا فى طريق لندن قال لى

— هل زار سيدتك في الجمعة الماضية شخص اسمه يارنجتون؟
— لا ، ولماذا ؟
— لاشيء ، لقد ظننت أنه زارها
— لماذا ؟
— انه يقيم في الفندق ، وقد ظننت أنه جاء ليقابل مونشير ومدام في عمل ما
— انتظر إنك تعرف شيئا ما يامونشير جين ، فما هو ؟
— لا شيء استطيع أن أقوله يا مداموازيل
— ولكن قل لى ياسيدي ، قل لى شيئا ! دعني أعلم شيئا ودعني ارتاح
— ماذا تعرف عنهما ؟
— لا شيء ، انني أسمع فقط ؟
— وهذا ما يحسن بك ، انهما يتظاهران بغير حقيقتهما اليس كذلك ؟

فطأطأ رأسه علامة على الاجابة ؛

ولما ذهبت الي المنزل قابلني جرى ذلك الرجل الاشيب

وقال لي بصوت اجش :

— ماريبت ، أليس من العيب أنه في غيبة سيدك وسيدتك تذهبين فتقابلين ذلك الرجل الغريب عنك ، فتتحادثان فى الغرام انني لاشك سأخبرهما عند عودتهما

— سيدي العزيز . أنت حر ياسيدى فى إخبار من شئت فانا حرة مادامت سيدتي غائبة ولا شأن لاحد معى

— لقد كان موظفا هنا منذ أشهر قليلة ، وليس هناك من يعرفه ؟ والي جانب هذا فانه ليس عملا حميداً

— عملا حميداً ؟

وكان فى صوتي ما أدهشه ، لانه كان غريبا عن مألوفه ، ولن أنسي تلك الحال التى كنت فيها

ولقد كنت أكاد أنطق بشيء مما عندى ولكنني أحمد الله اذانني لم أنطق شيئا ، بل كل الذي كان ان مررت به وذهبت الى حجرتي

ان الرجل اليوم سيراقبني ، فماذا هو يريد بمنعي من مقابلة جين فالنتي ؟ ، أيعلم شيئا عن رسالة هنكر ثم يخشي أن أعرف شيئا ؟

وفى نحو الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي استيقظت على صوت طومبيلا كبير وقف امام البيت ، ونظرت من النافذة فالفيت سيدتي تترك الطوموبيل في ملابس فاخرة ، وقد عادت غير اعلان ما ، وأغرب ما فى الموضوع أنها حضرت فى نحو هذه الساعة

فاسرعت الى ملابسى ، ونزلت السلم ، ورأيتها في أحسن ما يمكن أن تقتنيه سيدة ، تلبس فستانا أزرق ، وتلبس حليا فاخرة وقد عادت العربة من حيث أتت

ورأيتها صفراء منهوكة القوي وقالت :

لقد قمت من لندن ياماريت ، وقطعت نحو الثلاثة ميل !!

انى أشعر بالتعب الشديد ، عاطني شيئا ، عاطني منعشا ، وعاطني قليلا من البراندي

فناولتها زجاجة ملح منعش وذهبت الى حجرة الطعام لاحضر منها البراندى ولما أحضرتها شربت كأسا من الزجاجة بسرعة وقالت ٠

— أظن زوجي غير موجود هنا أليس كذلك ؟

ورأيت في عينيها شبحا واجبتها بالسلب وقالت

حسن ، انظري ياماريبت ، أريد أن تقومي بعمل من اجلى ، أنك فتاة طيبة وأؤمل فيك الخير كله

— نعم ياسيدتى

— ربما يسألونك عن الساعة التى وصلت فيها الى البيت . ربما يكون ذلك فاذا سألوك فاخبريهم انني حضرت في الساعة العاشرة . وأنك أصلحت ملابسي فى نحو الساعة العاشرة ونصف أفهمت ؟

— نعم

ولم اظهر لها أية استغراب

— أنه لعمل عظيم لى ياماريبت . انني اثق بك الثقة كلها فلا تضيعتها

— أرجو أن تثق بي سيدتي كل الثقة . ولكن هل فكرت سيدتي في سائق الاوتوموبيل ؟

— اطمئني فقد منحته مايسكته فهو لايقول شيئا بعد

— ومستر جرى والباقيات من الخدم ؟

— الباقيات نائمات بعيداً . ولا يعلمن عن حضوري شيئا أما مستر جرى فسيقول لهن انني حضرت الساعة العاشرة .

اذكن ذهبن الى الفراش للنوم

ثم تناولت قليلا من الكوكايين لتهدىء اعصابها وكان هذا أحـد أسرارها التي تعمل على أن لا يعرف عنه أحـد . وتقدمت اليها لاخلع ملابسها

وفي أثناء هذه العمليه اكتشفت أن كم فستانها الايمن ممزق وان عليه بعض آثار داكنة فلم أنطق بكلمة لان الدهشة كانت استولت على . وقد غاب عنها هـذا الاثر وأخذت اتفحصة فاذا هو نقطة دم

فاخذت الملابس زعما مني اني سأمسح هذه النقطة ثم اعلقها ، ولما اصلحت شعرها ذهبت وفحصت الملابس فحصا دقيقا فتبين لى أني لم أعرف عنها شيئا من قبل ، ووجدت على الكم نقطة من الدم فى مساحة القطعة النقدية ذات الست البنسات ووجدت نقطا أخري في الذيل وكانها قد مرت بالارض فمسحت بعض الدم المنثور هناك

فادهشني الامر كل لدهشة ، وقلت فى نفسى أنها أمور مدهشات ، فماذا جرى ولماذا يهمها أن لا يعرف أحد عن الموعد الذي عادت الي البيت ، ولماذا تهتم بزوجها هذا الاهتمام

فنزلت الى حجرتى ، واطللت من النافذة اراقب الفجر وافكر ، ولم أعد أستطيع أن أنام وتذكرت كلمات جين الغريبة وأخذت أفكر فيها فماذا يعلم ؟

وفى اليوم التالى أستيقظت مدام ، وكانت كعادتها نشطة مراحة ، وفى نحو الساعة العاشرة وصلها تلغراف ، وطبعا فانه كان من السيد ، وكانه يقول لها أشياء تطمئن بها لانها أسرعت الي البيانو وأخذت تعزف عليه . ولكن جرى فانه عاد بهيئة تدل على اضطرابه وانزعاجه فلماذا ؟

وكانت الساعة الحادية عشرة لما عدت الى ملابس سيدتي لاقلبها واتبين ما فيها ! ويدهشني ان اقول انني لم أجد فيها القطعة الملوثة بالدم . لقد انتزعت . وقد أصلحوا الكم اصلاحا لا يمكن تمييزه عن سابقه . وكذلك كل الملابس قد عادت الى حالتها الاولي . ولا بد ان تكون قد استيقظت مبكرة وجلست الي ملابسها ترتق فتوقها وتصلح ما فيها لتخفي تلك المعالم التى تحاول ان تقول كل شيء

وأظنها اعتقدت انني لم ارها . ولا علم لي عنها

نعم لقد ادهشني أمر هذه الملابس وازددت حيرة لانه قد

تجلى لي بعد ذلك ان في الامر سراً

وبعد ظهر اليوم . بينما كانت السيدة جالسة تطالع في حجرة هناك .وصلها تلغرافان. وماكان اشغفني للاطلاع على مافيهما

وكنت في الحجرة . في الدقيقة التي احضرهما فيها جرى . وقد راقبتها أثناء قراءتها ، فقرأت أحدهما وابتسمت ، ثم مزقته قطعا صغيرة ووضعته بالقرب منها على المنضدة ، ولو أنها وجدت نارا لما تأخرت أن تحرقه ، وأمضيت ساعتين في مراقبتها وأخيرا ذهبت في الحديقة القائمة خارج البيت ، وجاءت الفرصة

فانسبت الي الحجرة وأمسكت القطع الصغيرة وجمعتها حتى تمكنت من قراءة التلغراف

فاذا هو من مونشير ، وقدأرسله من مدينة أيلفل وهي المحطة التي يقف فيها القطار بين باريس وكالية ، وقرأت التلغراف فاذا فيه:

« المسئلة على مايرام ، احضري ماربيت الى فندق ،كونتنتال في باريس وسافري الليلة »

رالفا

فضرب قلبي سريعا ، باريس ! ولم تذكر السيدة عن السفر شيئا ، والحقيقة فاني مللت الاقامة في هذا البلد

المسئلة على ما يرام ! أهذا معناه أنهم لم يكتشفوا شيئا للآن ؟ اني لا أقرر هنا انني أنفقت كل أيامي باحثة في الصحف فلم أجد فيها شيئا ما ، على اني أقول ان هذه العلامات التي كانت على ملابس السيدة انما كانت دليلا الى مأساة

ان أمثال مسز هنكر لها طبائع تختلف عن غيرها ، فهي اذا احبت أحبت ، وكان لصداقتها نوع غريب ، أما أنا فقد أدهشني أمرها جدا وأصبحت لغزا من الالغاز ، وكان أول الاسباب الذي يدعوني الى تقرير الامر وان هنالك سرا عميقا وهو سكناهما في هذه القرية ، انهم قوم مدهشين ، وان جين قال الحقيقة كلها ، فانهم أعجوبة ، وسر عميق

كذلك هروب مدام ومونشير هكذا بغير سابقة انذار يدل دلالة واضحة على أن في الامر سرا هائلا ، واذا كانت هذه الشارات الدموية التي كانت تلوث ملابسها جاءتها من غير جريمة ما ، فانها ما كانت لتهتم بها وتسعي في محوها ، وفي اني على الاقل لا أراها أليس كذلك ؟

يالله ! ما أشوقني الى تعرف الحقيقة جميعها ، ولكنني لا أستطيع ان أصل لشيء ما ، وظلت السيدة في حجرتها أما ما تطلب الصحف

وتقرأها من اولها لآخرها وهي مضطربة ومصابة بدوار شديد. وتستهين بالكوكيين ، وقد تغيرت اخلاقها وأصبحت تضطربه وتصرخ لأقل حركة

وهكذا مضي عليها خمسة أعوام

وفى ليلة ما فى نحو الساعة السادسة كنت امر بحجرة الضيوف فاسمعها تتكلم همسا مع جري ، وهي تقول

ـ هذا شيء غريب جدا

فاصغيت اليها ووضعت اذني على فتحة المفتاح لاستمع فاذاهي تقول

لا ـ ، انني اثق بها ثقة تامة جدا ، ولا أخشاها البتة

فهل كانا يتكلمان عنى ؟

ـ أما أنا فعلي عكسك ، انها تظن ظنونا كثيرة ، فعاطها مكافأة ما وأمريها بالخروج أرسليها الى وطنها فرنسا ، فانهم اذا طلبوها بعد لايجدوها هنا

ـ انك أنت ورالف فى مخاوف شديدة لاأصل لها ، أما رالف فارسل تلغرافا يطلب الى فيه ان ارسلها الي باريس ـ وطبعافان هذا العمل يضر بنا كثيرا

ـ هذا رأى محترم فيجب ان تتخلصي منها هناك

ـ والخادمات الأخر ؟

هن لا يعلمن شيئا ؟ ولا يفكرن في شيء ما. فأفت مستر هنكر وكل الناس يعرفونك بهذا الاسم

ـ ولا أدري ماذا يقول اهل ستامفورد بعد ؟

ـ طبعا فانك ستنجين من الخطر لو اصغيت لنصائح رالف . وأما انت فتتعمدين الشجار معي وسأذهب توا الى لندن وآخذ أول قطر يصادفني . وسأسافر الى حيث لا أدري غدا صباحا . وأما انت فلك الخيار في اخذ نصيحة رالف أو . . .

ـ أو ماذا ؟

ـ او سيصيبك كل مايضر بك وهذا ظاهر جداً

ولكن أنا . انا لا استطيع ـ انا لااقدر ؟

ـ كلام في غير محله

ـ لاتكوني امرأة اذالم تستطيعي ان تحطمي اوهامها

ورأيته يتحرك ويحاول ان يترك الحجرة وبذا اسرعت للاختفاء وبعد ساعة نادت عليه ثانية ، وتشاجرت معه ثم طردته . فخرج يزمجر . وقد اصدق انها طردته لولا انني سمعت باذني ذلك الحديث الذي جرى بينهما

فقرر السفر الي لندن في نحو الساعة السابعة وخرج وهو يزمجر

وأما أنا فسألت السيدة أن أخرج لقضاء شيء من الحوانيت وخرجت وبحثت عن جين

وسألت أحد زملائه هناك فاخبرني بما يأتي

ـ تشاجر جين مع سيده اليوم صباحا وسافر الى لندن الساعة الرابعة . وأخبرني أن أخبرك أنه سيكتب اليك غدا

فدهشت للأمر . وقلت في نفسي لابد أن يكون قد حصل شيء في ستامفورد

ولما عدت الى البيت وجدت السيدة مضطربة جدا. وعلمت أنها كانت تصرخ ورأيت في عينها احمرارا . وشعرها مهوشا

وحضر ساعي البريد يحمل كتابا فاوصلته اليها وقد عرفت من العنوان والمحطة التي قام منها انه من السيد . وبعد أن قرأته جلست تحملق فيما أمامها . ثم حولت بوجهها الى قائلة في صوت ضعيف

ـ سنسافر غدا الي باريس يامارييت ، فاذهبي واعدي ملابسي وخذي ملابسك أيضا فسنمضي مدة طويلة هناك ، فان زوجي في باريس ولا بد من اللحاق به

ففرحت لهذا الخبر لانى سأعود الى بلدي العزيزة ،وجلست انظم المتاع وفي نحو الساعة الثانية من الغد كنا في طريقنا الى المحطة

وتذكرت كل الحديث الذي جرى بينها و بين جربي واخذت افكر فيه طويلا ، واراقب كل حركة

واجتهدت أن لا اترك للسيدة شيئا من حالاتها

وأخيراً وصلنا الى محطة الشمال ، وهناك حصل ما ادهشني جداً ، ذلك انى لاحظت بين الوجوه المستقبلة للقطار الواصل الى لندن ، وجها يشبه وجه جين فالسي ، وحاولت أن أتحقق لأمره فاختفي من أمامي

فتركت الأمر مليا ، انه ولاشك في لندن يبحث عن عمل ما ، وقد سبق ان اخبرني انه مل الحياة الفنادق

وسرنا لا الى فندق الكونتنتال كما ازعم بل الي شارع لافاييت وهناك فتح باب بيت رجل وحيا السيدة وأخذ ينظر الى ، وكان البيت مفروشا فرشا غير ثمين ، وفيه حجرة جلوس واحدة ومطبخ ، وكثير من حجر النوم يختلف الاختلاف كله عن ذلك البيت الذى كنا نسكنه في ستامفورد

وأخذتني الحيرة من هذا البيت ولكن السيدة بدأت تتكلم فقالت

— اختار زوجي ان نسكن هذا البيت ووجده خيراً من الفنادق .

وبعد ان غسلت وجهها خرجت لمقابلة السيد ولم تعد الا في نحو الساعة الثانية ,

وعادت ولم يحضر معها أحد ، وطلبت الي ان اذهب الي حجرتي ، وقد ادهشني ذلك جداً ، ولما سكت جميع من في البيت انسللت الى الصالة وهناك وجدت السيدة في حجرتها فوضعت عيني على فتحة الباب وأخذت انظر فوجدت الحجرة منيرة

ورأيتها جالسة على سريرها تعد شيئا ، فتبينتها فاذا هي اوراق ثم علا وجهها علامات اليأس وأخذت تنظر الى السماء ثم قامت وأخذت تذرع الحجرة جيئة وذهابا

وفي ثاني يوم اردت ان اخرج من البيت لقضاء شيء فلم تسمح لي ، واخذت هي طوموبيلا وامضت نحو ساعة في خارج البيت ثم عادت منهوكة القوي ، ورغبت ان ترقد في سريرها واما انا فبقيت انظر من النافذة الي المار في شارع لافاييت

وخرج العامل الذي في البيت في عمل وفي نحو الساعة التاسعة دق الجرس فذهبت معه لافتح الباب ومنه دخل السيد ورأيته شاحبا

متغيرا وفي شكل لم يرقني ، وقد تعسر على معرفته لاول وهلة لانه كان وسخا ، مهوش الملابس وقال :

ـ ماذا ياماربيت ؟ انت طبعا لم تعرفيني ! اظن انى تغيرت جدا لقد كنت مريضا !

وذهب الي حجرتي المدام ودخل واغلق الباب

لقد تغير ! هذه هي الحقيقة ولكن في شكله مايثير الشبه

واجتهدت ان اسمع ما يدور بين الزوجين من حديث فلم اوفق لان اصوات العربات كانت تملأ الدنيا ضوضاء ، وكانا يرفعان صوتهما في بعض لاحيان فاسمع كلمة أو كلمتين ولكن عن أى شيء ؟ هذا مالم اكن اعرفه

وذهبت الى نافذة الحجرة التالية منظرة ان تناد ني السيدة كنت احملق فى الظلام لاتبين الاشباح هناك ، ولحظت ان رجلا يختفي في ناحية ، وانى لا احاول ان اعرف من هو فاكاد اظنه مستر جري

فلماذا يراقب السيد ؟

اما السيد فقد برح الحجرة بعد نصف ساعة

وسمعت الباب عندما اغلقه ، ورأيت السيد يتجه الى ناحية

الاوبرا ثم رأيت مستر جري يتبعه

وبعد ذلك ذهبت الى سيدتي

وفي نحو الساعة العاشرة ، ولما لم يحضر خادم المنزل ، ذهبت لاصنع قهوة لنا ، قبل ان تنام امرتني سيدتي ان احضر فنجاني عندها في حجرتها

وكانت القهوة مصنوعة جيدا ولكنني لم استطع ان اتناول منها شيئا حتى رأيت نفسي وقد غشيت عيني غشاوة ، وكأني اعوم في الهواء ، واصابني دوار

فقلت :

- اني مريضة ياسيدتي

- مريضة ! ولن تعودي الى صحتك لقد كنت تراقبينا وهذا هو جزاؤك

فجاهدت ان اقوم من مقعدي فلم استطع فقلت

- يا آلهي ماذا فعلتم

- لقد اعطيتك جزاءك !

ثم تناولت معطفها وقبعتها وخرجت من الحجرة وبعد دقيقة سمعتها تغلق الباب الخارجي وحاولت أن اصرخ ولكن المخدر

كان ينساب في عروقي ، وقد امسك بلساني فلم استطع أن اتكلم كلمة ما

وكنت منفردة ، اشعر بقشعريرة الموت تحط على جسمي وحاولت أن اقوم فلم استطع بل وقعت علي الارض

وبعد ثانية فقدت كل احساساتي

ولما افقت لنفسي وجدتني في احدى المستشفيات وحولى ثلاثة رجال وممرضة وكان احد هؤلاء الرجال طبيبا ، والثاني يبلغ الاربعين ، والثالث جين فلنسي !

فقال جين

ـ مالك يامارييت ، لقد كنت في مأزق حرج ، وقد اكتشفوا اني اعلم بالشيء الكثير واني صنيعة البوليس عنهم ، واننا اصدقاء فارادوا أن يتخلصوا منك

ـ صنيعة البوليس انت ياجين ،

وقمت من فراشي ناظرة اليه

ـ نعم ، وهذا السيد الذي امامك هو المفتش ، نايز ، من رؤساء البوليس في العاصمة وقد جاء الى هنا للقبض على سيدك وسيدتك بتهمة القتل اذ هما متهمان بحادثة ميدان زرز فوبك

— ماذا هذا ؟

فقال البوليس السري الانجليزي

— ربما لم تقرأى الجرائد ياسيدتي الآنسة ، فقد وجدوا في صباح يوم ما مستر ، جورج بكنل، أحد سكان ميدان نور فولك في هيد بارك مقتولا ، وفي صدره سكين ـ وكان الباعث علي هذه الجريمة هو السرقة، لانهم وجدوا خزنته الحديدية مفتوحة، ومأخوذة منها . مجموعة من الاوراق المالية — وقد شغلتنا هذه القضية مدة ـ ولم نصل الى شيء ما ،وقد علمنا أن القاتل كان يصحب سيدة يقولون عنها انها زوجته وقد علمنا من سائق اتومبيل أن سيدة ركبت معه قاصده الي بيت مستر بكنل وانها هي التي تمكنت من ادخال الرجل وقد وجدوا مفتاح الخزنة مع الرجل الذى قتلوه حتى لا يصرخ

وقال جين

— كانت لهما اسماء كثيرة وهما من كبار اللصوص ، وقد بحثوا عنهما في سرقة شارع السلام ، فلم يوفقوا اليهم وأخير شككت فى امرهم وذهبت الى ستامفورد وهناك اشتغلت خادما ، وهناك حذرتك ياسيدتى الآنسة ، وجاءوا بالسائق فعرفنا انها هي دوز عيرها التي دخلت هذا البيت وقد اكتشفت مدام هنكر

انني أحد رجال البوليس الفرنسي ، وهاجرت ستامفورد فلحقت عليها الى هنا ، وتمكنت من الاختفاء هي وزوجها وأخيراً عثرنا بها في شارع لافانييت فرافقناها ولما ذهبنا الى بيتها وجدنا الباب مغلقا فكسرناه وهناك وجدناك ملقاة على الارض فاقدة كل احساسك أو تكادين — وذهبنا بعد ذلك الى فندق لنقبض على زوجها وهناك وجدناه وقبل أن نمسك به أطلق على نفسه النار ومات

وسألته

— وما كان من أمر المسروقات ؟

— لا نفهم أين ذهبوا بها

فقلت لهم عما فعلته معها من المراقبه فى حجرة نومها وانها كانت تقلب اوراقا هناك فذهبوا الى الحجرة وعادوا يعلنون أنهم تمكنوا من الوصول الى المال المسروق

وقادوا السيدة بعد ذلك الي لندن وهناك حاكموها وحكم عليها بعشرين سنة مع الاشغال الشاقة — وعلمت من جين أن إجري قبض عليه فى مرسيليا وزج في السجن هناك

فما اغرب هذه العائلة


الجزء الثاني

البيت السابع

٢ سبتمبر

زرت سكوتلاند يارد ، وبعدها ببضع اسابيع حصل مالم يكن يخطر ببالي، فقد كنت جالسة بعدظهر يوم ما فى الحجرة التى استأجرتها في شارع الملك ، اذ حضرت صاحبة البيت تحمل بطاقة زيارة وعليها اسم (كارل فلوجل)

وحضر زائرى ، وكان شكله عجيبا ، فقد كان عجوزا ذا شعر ابيض ، وله عيون تطل من وراء نظارته وكان لابسا بذلة مضحكة جداً ، ورغم أن اليوم كان دافئا ، فقد كان لابسا رداء ثقيلا، قصيرا، وكان في زى لم أرتفصيله لا في لندن ولا فى غيرها من البلاد التى مررت بها

وكانت تقف خلفه فتاة جميلة ، ذات شعر فاحم جميل ولابسة فستانا منمقا ، وتلبس قبعة سوداء وقد بهرني جمالها، وما احتواها من رواء ، وقدرت لها عمرا لايزيد عن عشرين سنة

وكان فلوجل يتكلم الفرنسية بلهجة المانية ولما رأيته لم اتبين السبب الذى من اجله حضرا الى ولما جلسا، جعل ينظر الى من خلال نظارته قال : —

— أن السبب فى حضورى اليك . اظنه سيدهشك لاول وهلة . لقد قيل لى انك زاملت صديقى المرحوم مونشير كورنفورث ياآلمى ! وما كدت اسمع اسم هـذا الرجل حتى اخذ قلبي يضرب بسرعة . وكان هذا الرجل مريضا بمرض غريب !

وحاولت ان اكتم دهشتي مهما استطيع أن أفعل . ورأيت ابتسامه تمر بشفتى ضيفي . ورفعت الفتاة نظرها الي وأخذته تحملق بي ثم انزلته

وقلت

— الحقيقة ياسيدى انى أعرف مونشير كورنفورث . ولقد عدت من فلورنس ولما تمضي لى عشرة أيام

— أنا اعرف انك كنت تعيشين هناك في فلونس مع مدام كندي فوستر . اليس كذلك ؟ انها بلدة جميلة . وفيها آثار قيمة : واظنكم كنتم تسكنون فيلا بوريلى ؟

— نعم ياسيدتي . وطبعا فانى كنت حاضره ساعة أن أكتشف البوليس جثة صديقك المسكين

— نعم نعم ؟ كان الامر محزنا . محزنا جداً ، ولقد ارتعبت عنده ما وصلنى تلغراف ينبئنى بموت هذا الصديق

ويدهشني جداً أمر هـذا العجوز . وكيف وصلته هذه الاخبار وقلت .

— وكيف وصلك الخبر ياسيدي ؟

— أرسله الى صديق . مستر كورنفورث

وكانت عيون الفتاة تجول فى كل انحاء الغرفة وقلت —

— ومن أين جاءك الخبر انني اعرف مونشير كورنفورث واني اسكن في هذا المكان

— اخبرني مستر كورنفورث نفسه انه يعرفك : ولكن الامر المهم الذي جئت من أجله أريد أن اعرف شيئا عن موت صديقي وكيف كان ذلك . انني لم استطع أن أعرف شيئا ولكن انت التي لازمت البوليس لابد أن تعرفي الحقيقة — فارجو أن تشرحي لي الموضوع وانا صديقه اليس كذلك ؟

— بالتأكيد . وانه اظن ان البوليس الايطالي يهمه ان يعرف صديقا للرجل الذي مات وقد اعلنوا يطلبون اقاربه ولكن كان ذلك بغير جدوى

— نعم نعم . لقد طالعت الاعلانات وانها لتدل على مبلغ

بجهل البوليس . وما ادهشني ان يسلن هؤلاء عن ورثة ويليام كورنفورث انه أمر غريب

— ولماذا ؟ فقد وجدوا بعض الاثاث والحلى وطبعا فان ورثة . وقد سلمت هذه الاشياء للقنصل الانجيزي

— انها ملك هذه الآنسة . مسز كورنفوث الابنة الوحيدة لمونشير كونفورث

فتقدمت اليها بالعزاء الجميل . بينا كانت تبكي وقالت لى

— ان والدي رجل غريب ياسيدتي المدموازيل انني لم أره منذ سنتين . وما كنت اعلم انه يسكن فلورنس وقد كنت أظن انه مات ودفن في احدي قري لندن . وانه لم يكن يحب ان يجتمع بالناس

— غريب جداً ! انه كان فى فلورنس كثير الاجتماع بالناس وفى المرة التى قضاها هناك عرف فيها كثيرين بين اهل فلورنس

— وكانت مس انجس تقيم مع عمتها فى يوركشير . ومسكيز مستر كورنفورث لقد كان مشهوراً فى أوربا

فطأطأت رأسي . وقد سبق أن أخبرني المفتش ستيفنسون أن مستر كورنفورت كان مجرما خطراً

نظرت الى الفتاة الجيلة الجالسة امامي مدهوشة جداً من أن هذه الفتاة تكون ابنة ذلك الرجل الذي قالوا عنه أنه شرير شقي

واجبت الرجل الى ما طلب فشرحت الظروف الغريبة التى كانت بسبيل الى اكتشاف مقتل كورنفورث ، وذكرت له مبلغ جهد البوليس وانه لم يصل الي نتيجة ما . وكنت احس بالالم الذي ينتاب مدموازيل انجاس . وجال بخاطري أن هذا الرجل العجوز انما يرضيه هذه الآلام التى تنتاب هذه الفتاة وكيف ابحت لنفسي أن أقص هذه القصة

ولاحظت اشباح الالم في عيون الفتاة وهي تنظر الى — ورأيتها تنظر الى زميلها مرتابة في أمره . وكانت مقهورة على سماع قصة أبيها المفقود — وقال فلوجل

— انه كان طلبة البوليس . فلم يكن غريبا أن يجدوه .

فقلت :

— واية جريمة هذه التى تلقيها عليه ؟

فضحك الرجل. وما أشبهه بالمفتش ستيفنسون. فانه لم يجبني على سؤالى

وي يظهر ان القوم تآمروا على السكوت

وقال مونشير فلوجل

ـ لقد قلت أنهم وجدوا مجموعة من الجواهر فى البيت

ـ نعم ياسيدى انها تساوى الالفا من الجنيهات

ـ وأين وجدوها ؟

ـ وجدوها مدفونة فى الحائط ، وقد أدهش البوليس أمرها

ـ وطبعا فان هذا لم يدهش البوليس ، فان البوليس الايطالى يجهل الموضوع ومايحيط به ، أما هذه الحجرة فقد صنعت خصيصة لهذا الغرض

ـ وقال الخدم ان هذه الحجرة كانت تغلق فى بعض الاحيان وفى البعض تترك مفتوحة الباب ويمر بها الخدم

ـ طبعا فانه يتركها مفتوحة في بعض الأحيان حتى لا يسبب ريبة ما

— ريبة عن أي شيء ؟

— عن الحقيقة

وشرحت حكاية البوليس والمقتول الذي وجدوه فيها وطريقة دخوله الى هذه الحجرة وكانت الابنة تنظر الى نظرة مملوءة بالحيرة وقالت

— وهل وجدوه مقتولا بالرصاص كما وجدوا أبى ؟

— نعم ياسيدتى . وقد أدهش البوليس أمره . وقالوا ان لا بد أن بعضهم يعرف هذه الحجرة وما تحويه وانه جاء للحصول عليه

— ولكنك قلت ان هذه الجثة بقيت ست ساعات أو سبع يوم لم يكتشفوها واذن فقد تمكن القاتل من تفتيش المحل ؟

— ان الحلى جميعها قد وجدوها وقد أرسلت الى البنك

نفكت الرجل وأخذ يسرح ذقنه باصابعه وقال أخيرا

— ان الحلى ملك كورنفورث ، واذن فهى ملك مس انجاس فاذا بيعت فان قيمتها تكون كبيرة ، وتبنى لها مستقبلا زاهرا ، أليس كذلك ؟

— بالتأكيد

ولكن المصيبة العظيمة ان هذه الفتاة لا يمكن أن تتقدم الى البوليس لتقول أنها ابنة كورنفورث

— ولم ذلك ؟

لاسباب كثيرة

وصرخت الفتاة

— لالا ، أنا لا استطيع أن اعترف بابي لأنهم يطالبونى بسره

— سره ! وای سر له ؟

— انهم اذا علموا انني حية فسيضطروني الى الاعتراف

— حية ! اتقولين أنه يحسن بك أن يقول الناس عنك أنك مت؟

فطأطأت رأسها علامة الاجابة

وقال فلوجل

— والآن وقد فهمت الموقف اليس كذلك؟ وفهمت ان مس أنجاس لاتستطيع أن تطالب بهذه الجواهر مباشرة فالذى يجب أن يكون أن تصل الى هذه الجواهر بطريق غير مباشر أى بغير أن يعرف البوليس انها ابنة مستر كورنفورث

ولكنى لا أدرى أية طريقة هذه التى توصلها الى غرضها يجب أن تعلن المدموازيل صلتها بأبيها

ان هذا ممكن ، يمكن اثباته فهناك شهود علي صحة هذا النسب وليس من شك فى صحة هذا الصلة

— اذن لامعني لاختفائها

— ياسيدتى المادموازيل ، ان مس انجاس اذا فعلت ذلك فستكون تحت رحمة البوليس ، انك لاتعرفين الموقف ، ولايمكن أن يخطر ببالك الأمر

— انى احاول ان افهم الحقيقة ولكنك لاتريد . ولم تقل كلمة ما فى الموضوع الي الآن

— اتظنين انه من المستحسن ان اذيع سر صديقى المائت

— لااطلب ذلك ، ولكن اذ كانت مد موازيل انجاس هي الوريثة الوحيدة لمونشير كورنفورث فليس هناك معني لاخفاء الحقيقه

— الحقيقة مريبة ياسيدتى ولن يصل البوليس الايطالى وعلى رأسه الشيفالير انسالدى اليها والي حكاية المقتول الذي وجدوه في فيلا بوريللى

— ان بوليس سكوتلاند يارد يعرف الخبر

— لا ،هم يجهلون الموضوع جهلا تاما هم يعرفون ان كورنفورث وبرونو وجدا مقتولين ولكنهم لا يعلمون من الخبر شيئا الا كما تعلميه أنت أي انهم لا يعلمون شيئا

— حسن ، ومن يعرف الحقيقة . طبعا المقتول . . .

فامتلأت عين الرجل بالشرر . ورأيت ملامحه وقد تغيرت دفعة واحدة . وعلته ريب وقال

— حسن . ان الرجل الوحيد الذى يستطيع ان يحل هـذه

المشكلة هو أنا دون غيري . أنا اعرف الحقيقة كلها!

— ياللشيطان ! ولماذا لم تخبر البوليس ؟ واذن فان القاتل يقبض عليه ويحاكم وينال جزاءه

— ليس من داع الي مساعده البوليس . فالبوليس يعمل فى معرفة القاتل فليس يحسن أن أساعده في مهمته !

— معنى ذلك أن تنتقم لصديقك من قاتله

وقالت الفتاة :

— نعم يحسن بك ان تذهب الي البوليس وتخبره الحقيقة التى تعرفها

ولكن الرجل هز رأسه وقال

— اذا احتاج البوليس الي معلومات فيجب ان يدفع ثمنها ، اما انا فاعمل هذا من اجلك يامس انجاس ، فاذا اراد البوليس ان يعرف شيئا عن الموضوع فيجب اولا ان آخذ نصف الجواهر- وان تأخذي انت النصف الآخر . ولكن ذلك غير ممكن لانه يجب ان تبقى انت بعيدة عن الميدان . فالسر فى وجودك يفوق ثمن الجواهر التى وجدوها في بيت أبيك

غريب جداً ، ماهو هذا السر العظيم الذي يفضلون فقدانهم

هذا الكنز الثمين دون ان يقولوا بوجودها لرجال البوليس !

اني أقرر هنا أن مونشير فلوجل رجل مكار ، كالثعلب يريد أن يستخدم ماعنده لغرض في نفسه ، انه يريد أن ينتفع من هذه الفرصة ، وجوابا على سؤال القيته عليهما علمت أن الفتاة تسكن قرية تبعد عن يورك ثلاثة أميال ، وهي تعيش منذ سنين مدرسة في مدرسة هناك ، وكانت تقيم في بريتون مع فلوجل أحد زملاء ابيها ، بينا كان أبوها في انجلترا

وحاولت أن اقنع فلوجل أن يذهب معي لمقابلة المفتش ستيفنسون فلم افلح

وقال

— لا ، لايمكن فان كل خبر ربما يقول بوجود مس انجاس وعلمهم بوجودها خطر عليها جداً ، وهم أن علموا بذلك فلا تستطيع بعد أن تفر من الموضوع

— انتظر ، ولماذا تقولون عنها انها ماتت ؟ وبأية كيفية كان ذلك ؟

— كان ذلك أن ماتت غريقة منذ ثمانية عشر شهر مضت : فقد ذهبت للاستحمام عندما كانت في بيت من شر نجهام ثم لم

تمد، قلنا ذلك منذ زمن واعلناه فى الصحف وعند البوليس ،
وقد بحثوا عن جثتها فلم يعثروا بها ، الا بعد شهر اذ وجدوا جثة
الامرأة بالقرب من هنسياتتون فقالوا أنها جثه أنجاس كورنفورت.

— ولماذا ؟

— لاننا نهم ياسيدتى المداموازيل انه لابد من القبض عليها
عندما يفكرون فى القبض علي ابيها ، فاعملنا الحيلة وقتلناها ميتة
حتي لايمكن الوصول اليها

— وهل لم يفكروا فى انك تعرف شيئا عن مونشير كور
نفورت أو عن اعماله ؟!

— لا ، انهم ظنوا في كثيرين من الناس وهم لايعلمون شيئا عنه
لم تحم حولي اية شبهة ما

— ولكن اذا عرف البوليس أن المداموازيل انجاس لم تزل
حية فهل تكون النتيجة خطراً جداً ؟

قلت هذا واخذت انظر الى الفتاة فقالت الفتاة

— نعم نعم . يجب أن يعرفوا شيئا من هذا اننى احاول ان
اكتم سر ابىعن كل مخلوق . انني انتحر ولا اخاطر بان تقع في ايديهم،
وانني لواثقة بك الثقة كلها أن تخبرى البوليس بزيارتى هذه لك

— انا . انني احترم ارادتك ياسيدتي ورغم هذا فانني لا أوافق على أن لا يقبض على قاتل أبيك ومعاكنه واخذه نصيبه من العقاب

— آسفة : أن هذا لن يكون الا اذا عرفوا بوجودي حية . فاذا عرف ذلك قبضوا على حالا . انت لا تعرفين شيئا عن هول هذا السر العميق

— وما هو ياسيدتى ؟ انني اعترف هنا انني ارتاح للانتقام للمونشير كوزنفورث ؟

ولكنها هزت رأسها ، وقالت

— آه : أنا اسفة لا أستطيع ان أقول شيئا ما نعم لا يمكن !

البيت الثامن (١)

ويتضمن أسراراً جديدة عن حادثة كورنفورث

رجعت في شهر نوفمبر الى ايطاليا لألتحق بخدمة السيدة الالمانية المسماة ساين ببلدة فيزول

ورأيت هناك الشيفاليه مدير البوليس وأخبرته عن زيارتي لسكوتلنديردولكنني لم أخبره بشيء مما اخبرني به فلوجل أوالآنسة كورنفورث فلقدكنت وعدت بشرفي ألا أبوح بشيء ومع ان هذا الوعدكان رغم ارادتي إلا اني كنت مقيدة به لا يمكنني أن أحيد عنه

تقابلنا مرتين وكانت المحادثة تصل بنا الى حادثة فيلا بوريلي حيث كان يقطن كورنوفورث. فكان يصرح دائما انها حادثة غامضة من الصعب جداً حل رموزها

وكنت كلما مررت بذلك المنزل المهجور الساكن الذى كان معروضا للايجار عادت بي الذاكرة إلي اللغز العميق الصعب الحل ولم يكن هناك من يجسر علي أن يتقدم لايجار المنزل بعد الفاجعة التي حصلت فيه وزاد في وحشته أن تركت الحديقه التي كان معتني

---

(١) قام بالتعريب ابتداء من هذا الفصل من المذكرات إلي آخرها الاستاذ « ف. ج »

بها بلا تعهد أو مراقبة فنمت بها الحشائش الطويلة واشتبكت أغصان الاشجار وتساقطت أوراقها فكان منظرها موحشا يبعث الرعب فى النفوس بل انى ما كنت أمر بها وهى على هذه الحالة حتى أشعر بقشعريرة تسرى فى جسمى

وآسفاه ! كان يتمثل دائما أمام ناظرى شبح الفتاة ذات الوجه الجميل . . . ابنة القتيل

وفى مساء يوم من أيام منتصف شهر ديسمبر وصلنى خطاب يسألنى فيه كاتبه إذا كان فى امكانى أن أحصل على أجازة من عملى وأذهب الى دار البوليس

وعند ماذهبت قال لى المدير عند ما ادخلونى مكتبه :

— أريد أن اسرك شيئا ياسيدتى شىء تهتمين له اهتماما عظيما على مايلوح لى ؟ وأنا أخبرك اننا قد عرفنا اسرارا كبيرة عن حادثة منزل (فيلا) بوريللى ووصلنا الى نتيجة ما ! وقبضنا على شخص تحوم حوله الشبهه !

فصحت :

— ياربا ه ! أحق ما أسمع ؟

فقال المدير :

— نعم هو حق ياسيدتي ! وانني لمتأكد ان شبهتنا في محلها.. وقد وصلنا الى نتيجة ماكنا نحلم بهالبتة . . وانا أريدالآ ن ان اسمع رأيك . . .

وضغط علي الجرس الكهربائى الذي كان موجودا امامه على المكتب .

وفى الحال دخل أحد رجال البوليس فأمره قائلا :

— إحضر السجين الذي اخذته الآ ن من مكتبي الى السجن فلقد نسيت أن اسأله سؤالا . . .

ولما أغلق الباب علينا ثانية تثاءب على كرسيه وهو يتظاهر بالخزل وقال لى ان هناك رجلا كان يمر فى الشارع بعد الساعة الخامسة ولما مر علي المنزل المهجور (فيلابوريللى) خيل اليه انه يري ضوءا يشع من نافذة من النوافذ الموجودة فى الدور الاعلى وكان الضوء ظاهراً من الطريق فعاد الرجل وبحث عن أحد رجال البوليس وأخبره بالامر. فنادي رجل البوليس قوة من دار الشرطة وحوصرت الدار المهجورة . . . . وكم ارتعب المفتشون في الدار عند ما وجدوا في الغرفة الكبري غرفة الموت . . . . رجلا تعدى سن الشباب وهو ملقي ميتا بواسطة رصاصة أطلقت عليه في ظهره

صحت وقد ارتميت من القصة :

— ياربّاه ! أضحية ثالثة ؟ ؟ !

واستمر الرجل يقص على القصه :

— نعم ! انه ضحية ثالثه ! وفي مبدأ الامر لم يفطن الرجال الى وجوب البحث والتنقيب فى الدار لولا أن احدهم سمع حركة فى الظلام فلما وجه صوبها نوره الكربائي انضح وجود شخص ثان فى المنزل . . . فقبض عليه فى الحال . . . وأحضروه الى هنا . وكنت غير موجود هنا عندما أحضروه . . . ولم أحضر الا منذ نصف ساعه وقد ارسلت فى طلبك في الحال . . .

وفتح الباب مرة أخري وعند ما نظرت أمامي وجدت ضابطين من ضباط البوليس بملابسها الرسمية وبينهما امرأة مصفرة الوجه ترتعد رعبا .

وعرفتها فى الحال.فقد كانت هي بعينها . الآنسه كورنفورت.

وحدقت هي في النظر وصاحت بي .

— أنت ، أنت هنا ياسيدتي !

وهجمت على ترحب بي وهي تصيح :

— سيدتي ، سيدتي أرجوك أن تساعديني اتوسل اليك

أن تساعديني ! لقد كنت حمقاء عندما تجرأت على الذهاب الي هناك . . ولكنني كنت متشوقة جد الاشتياق لرؤية الغرفة التي سقط فيها والدي قتيلا !

فصاح مدير البوليس .

— والدك ؟ ؟

ونظر الى باستغراب ! ! ثم سألني .

— ماذا يعني ذلك ياسيدتي ؟ ؟

ولم أجب ؟ ؟ وبماذا كان يمكنني أن أجيب

وبدأت الآنسه كورنفورث قصتها فقالت :

— ذهبت مع المستر فلوجل لالحاحه الشديد وقد دخلنا الى هناك سراً لأنه كان متشوقا جداً الى معرفة ماوصل اليه والدي في ابحاثه التي كان مقرها الغرفة الكبري . . . . وقد دخلنا المنزل من النافذه وبعد ان تمن المستر فلوجل في المنزل عرف الغرفة ولما صعدنا نظرت حولى ثم رأيت أن أتفرج على الغرف العليافصعدت لهذا الغرض . . . وعندما رجعت وجدت لعظيم دهشتي ورعبي أن رفيقي قد وقع على الأرض قتيلا . . ومع ذلك لم أسمع صوتا ما طول وجودي بالدور الأعلى ولكن قد أكون مخطئة ويكون سبب

سماعي وجودي بالدور الاعلى ولأن الأبواب كانت مغلقة..!
ونظر اليها مدير البوليس وعليه هيئة الجد والرزانه وسألها
— ولكن لماذا ذهبت الى هناك ياسيدتي ؟؟

ويظهر ان السر الثالث قد أزعجه وأذهله وأوقعه فى حيرة عظيمه... فلقد كان هناك سراً عميقا يظلل هذا المنزل السرى بجناحيه ويجعله هو الذي لايخاف القتلة ولا القتل ولا الجريمه يشعر بالخوف والرعب من مجرد ذكر اسم فيلا بوريللى.

فردت بالانجليزية قائلة.

ـ لايمكنني أن اجيب على هذا السؤال!

فقال المدير متأدبا:

ـ إذا يؤسفني ياسيدتي أن اضطر الى حجزك هنا إلى أن تعودي إلى صوابك وتصممي على الاجابة. ألم تسمعي عن الاعلانات التى نشرناها في كل انحاء العالم للبحث عنك؟

فقالت الفتاة.

ـ لقد سمعت بها ولكن لم تكن لدي رغبة للحضور الي هنا والتقدم اليكم:.

ـ ولماذا؟

ـ لأسباب خاصة لا يمكننى أن أدلى بها اليكم ..

فسكت المدير لحظات وهو غارق في بحار التفكير وقال أخيرا .

ـ إذا فلا ريب ياسيدتى ، وأنت تعلمين شيئا عن هذه الاسرار أكثر مما نعلم نحن ، أنه يمكنك أن تخبرينا عن تعليلك لمقتل رفيقك الذى كان معك في المنزل ؟ ذلك القتل الغريب ؟ ! من هو وما اسمه ؟

فردت قائلة .

ـ لقد كان أصدق أصدقاء والدي رحمه الله

ـ وفي مصلحة من قتله ؟

ـ لا أظن أن لاحد مصلحة ما في قتله

ثم عادت فقالت

ـ هل تسمح لى أن أسألك سؤالا واحدا كما سألتني أنت ؟

ـ سلي مابدا لك

ـ لما قتل والدي هل ذكر الطبيب الذي فحصه أن الرصاصة قد اخترقت الجسم اختراقا تاما ؟

ـ نعم لقد أكد أن الرصاصة اخترقت الجسم اختراقا تاما

ـ وهل وجدت تلك الرصاصة في الغرفة ؟

فأجاب مدير البوليس .

— لا ! من الغريب جدا أننا لم نجدها مع أننا رأينا أثرها وأثر احتكاكها على الحاجز المصنوع من الصلب عند الحائط ولكننا لم نجدها هي ذاتها ..

وصاحت هي :

— آه لقد كنت متأكدة من ذلك ... ولقد زادت المسألة تعقيداً طبعا لعدم ظهور سلاح استعمل في الجريمة ... اليس كذلك ؟

— نعم ! تماما .—

وقالت وهي تفكر :

— إذا فلا بد أن المستر فلوجل قد قتل بنفس الطريقة التى قتل بها والدى المسكين ورجل البوليس ..

وتلت ذلك فترة صمت وسكون لم يكن يقطعها غير صوت أقدام حارس الغرفة وهو يقطع الردهة ذهابا وأيابا

وسألتها بدورى .

— لماذا لا تخبرين مدير البوليس بكل ماتعلمين ياسيدتى .. انني لاأرضي لك أن تقفي في هذا الموقف ، موقف الاتهام ، واني لعلى ثقة كذلك أن مدير البوليس الشيفاليه انسلدي سيحترم ثقتك التى توليننها إياه ولاينقل الاخبار التى لاتودين أن تنقل أو تنتشر

إلى لندن . . . وعلى كل حال فإن البوليس الايطالى لايثق كثيراً
ببوليس سكتلنديرد الانجليزي . .

فأكد مدير البوليس بدوره :

ــ إن السيدة تذكر الحقيقة . . . وإنك اذاذكرت لى أى سر
من الاسرار فثقى أنه سيظل مكتوما تماما الكتمان

ولكنها ظلت ساكتة فسألتها :

ـ إخبريني كيف عرف فلوجل انني كنت أعرف والدك ؟

ـ لقد كتب له والدي خطابا ذكر له فيه خوفه من أن تكون
مدام كنيدي فوستر قد اكتشفت سره بناء على بضع كلمات تسقطها
منها أثناء مناقشة علمية بينهما ولذلك كتب إلي المستر فلوجل خطابا
يستشيره فيه عما يجب صنعه وقد رد عليه هذا الاخير على ماأعرف
بأنه يجب أن تقتلا انتما الاثنتين : أنت وسيدتك كى لايمكنكما
الاباحة بشيء !

فصحت.

ــ نقتل ! ! ياربّاه وماذنبي أنا حتى أقتل ؟ !

ــ كى يحتفظ والدى بسره وحده !

فقلت وقد بلغ بي الشوق مبلغا عظيما وارتعبت لفكرة قتلى :

— هه . . وماذا كان هذا السر العتيد ؟

فترددت فى الجواب ثم قالت .

— إن هذا السر لو وصل الي بوليس لندن لقبض على الحال بصفتى الشخص الوحيد الباقي على قيد الحياة الذى يحتفظ بهذا السر فانهم يريدون أن يكتم ويقبر الي الابد !

فسألتها مرة ثانية .

— حسنا لن نصرح بشيء فما هو هذا السر ؟

وقال لها مدير البوليس .

— إذا اخبرتينا بهذا السر فأنا أعدك أن أعتبر سرك سراً مقدسا لايمكن التصريح به لاحد

وأعدت أنا عليها وعدي بالكتمان . فقالت أخيرا بعد سكوت كان فيه ثم نزاع قاس في نفسها .

— حسنا ! ربما أكون على صواب فى التصريح به ووضع حد لهذه المزعجات والجرائم وتطور اللغز المعمي . . فهل لكما أن تصحباني ثانية الى (فيلا) بوريللي ؟

فصاح انسلدي .

— بكل تأكيد !

وبعد دقائق كانت سيارته الخاصة معدة على الباب لانتظاره
وأمر ثلاثة من رجال البوليس باتباعنا في سيارة أخرى
وسرنا في الشوارع المظلمة القديمة وبعد مدة وصلنا الى الباب
الحديدى لمنزل الموت . . .
ودخلنا نحن الثلاثة وقابلنا هناك ضابطان من ضباط البوليس
وهناك رأيت جثة فلوجل وهي ممدده فى غرفة الطعام
وقد لفت في قطعة من قماش وبعد دخولنا الي الغرفة الكبرى
أو غرفة الموت أوقفتنا صيحة صدرت من الفتاة وصاحت بنا !
— احذروا ! لاتدخلوا الغرفة قبلى أنا . حذروا . . .
ثم دخلت وحدها ووقفت لحظة وهي مستندة إلي الباب
وهي تتأمل فيما حولها من الاثاث ثم تحولت ببطء الى أزرار الضوء
الكهربائي وحركتها بيدها وقالت .
— يمكنكم الآن أن تتقدموا بامان . فتقدمنا نحوها ونحن أشد
مانكون استغرابا لما صنعته ولكنها تحولت نحونا فجأة وقالت .
— هل فحصتم هذا الحائط ؟
وأشارت إلى الحائط الذي على يسارها إلى جانب المكتب .
فرد عليها مدير البوليس بما يفيد أنه فحص ذلك الحائط

فحصا تاما . . .

فصاحت .

— لا ! يجب أن تفحصه فحصا آخر فربمن يحضر آله للتنقيب لترى اذا لم يكن هناك فجوة في الحائط

وقد تم ذلك فعلا ونحن نعجب مما يحدث وبينما كان أحد الرجال يشتغل بالحفر والتنقيب في الحائط إذا به صاح صيحة استغراب فقد وجد خلف حاجز متحرك من الصلب بطارية كهربائية كبيرة الحجم !

وإذ ذاك ازداد العمال همة في العمل وزاد عجبنا عند ما وجدنا عدة بطاريات كهربائية أخري وكلها معدة مجهزة للعمل وتولد تيارا قويا متناهيا في القوة ! ويزيد عليه تيار الكهرباء العادى في المنزل المعد لتوليد الضوء ويمكن أن يوصل التيارين بواسطة زر من الازرار الصغيره التي حركتها بمجرد دخولها الى الغرفة

وسألها انسلدى .

ـ مامعني كل ذلك ؟؟

فأجابته

ـ اصبر قليلا وستري !

وكان الظاهر أن الحائط أجوف يحوي جملة بطاريات كهربائية

يمكن اخراجها وتنظيفها وتسويتها ولكنها كانت مختفية عن الانظار حتى أنه لم يظهر لها أثر البتة أثناء البحث الاول

وتناول أحد الرجال فأسا وأخذ ينقب به في جزء من الحائط كان ظاهرا أنه مجوف وبينما كان مستمرا في عمله إذا بالفأس قد صادفت زجاجا في الحائط فحطمته تحطيما وتناثرت شظاياه على الارض .

وصاحت الفتاة بجزع .

— آه ! اشتغلوا بحذر ! يالله ! انظر نتيجة تسرعك ؟

وانحنت الفتاة باعتناء لتجمع ما تناثر من شظايا الزجاج ونظرت أنا الى الحائط في الموضع الذى كان ينقب فيه الرجل فرأيت بقايا آلة زجاجية غريبة لاريب أنها كانت متصلة بالبطارية الكهربائية .

وصاحت الفتاة بحزن عميق .

ـ انظروا ! هاهي قد تحطمت ! تحطمت بحيث لا يمكن اصلاحها البتة ! أي أن « القوه التي لا يمكن مقاومتها » قد انقضت الي الابد وراحت عفاء ومات الرجل الوحيد الذي كان يعرف تركيبها وسرها !

ووقفت انظر بدهشة إلى أكوام الزجاج المحطم ثم صحت بها .

ـ ولكن ماهي هذه القوة ؟ وما هو هذا السر ؟

فأجابت .

ـ إنه السر الذي كانت الحكومة الانجليزية تسعى للحصول عليه عند ما عرفت أن والدى قد توصل إلى اكتشافه ولقد ظنوه لأنهم رفضوا مرة أن يساعدوه على اكتشافه أنه قد نوي أن يشتغل لحساب دولة أجنبية وأنه لذلك الغرض قد هاجر من بلاده ولكنهم كانوا على خطأ فان والدي لم يحضر إلى هنا إلا ليشتغل سراً في ظل هذه الغرفة ولم يحضر للاشتغال لحساب دولة أجنبيه وقد بني هذه الغرفة خصيصا لمواصلة أبحاثه وكانت والدتي تعيش إلي جانبه وهي متنكرة تحت اسم الارملة كنيدى فوستر . . وكانت تسكن إلى جانبه فى فيلا لوبا حتى لا يشتبه فيها أحد

وصاح السلدى باستغراب

ـ السيدة كنيدى فوستر زوجته ؟ ياللغرابة ، وماذا كان اكتشافه ؟

ـ لقد نجح فى اكتشاف ما فشل في اكتشافه كل العلماء الآخرين منذ اختراع مركونى للتلغراف اللاسلكي نعم لقد فشلوا جميعاً ونجح والدي واكتشف الاشعة السحرية العظيمة القوة وبذلك توصل إلى اكتشاف قوة غير منظورة وكانت بين يديه قوة تفوق كل قوي الارض المعروفة ، لم يكن هناك شيء يمكنه مقاومة هـذه القوة التى كانت تخرج من آلته الكهربائية البسيطة الشكل . انها كانت تسيح

الصلب مثل الماء ! كان في امكانها أن تمحق اعظم قوات الجيوش بتوجيه اشعتها إلى ناحيتها . كان في إمكانها أن تميت الاصدقاء كما يقتل الذباب ! وأخاف أن اذكر اني أظن أن والدى قدجربه آنه هذه سرا فقتل بسببها اشخاص كثيرون . ولقد حصلت في انجلترا جرائم لاتزال لغزاً عميقا لا يمكن حله ولقد حيرت رجال سكتلندبرد ولم يصلوا البتة إلى اكتشاف القاتل الي أن قال أحدالعلماء الشبان أنهذه الجرائم لا بدأن يكون مرتكبها كلهارجل توصل الى اكتشاف القوة غير المنظورة فأثار ذلك اهتمام البوليس. وكان يشتبه في والدى منذزمان أنه قدتوصل إلياكتشاف الاشعة القاتلة فأعلن عنه أنه مجرم من أخطر المجرمين وأصبحهم مراساوحقر منه الهيئة الاجتماعية . والدي الذي ضحى حياته في سبيل اكتشافه ! والحق انهم كانوا يخافونه وخشيته الحكومة فصممت أن تحصل على الاكتشاف مهما كلفها الامر وبأي ثمن من الاثمان خشية أن تسبقها دولة أجنبية للحصول عليه ولقد قدم والدى اختراعه إلى الوزارة الحربية ولكنها رفضت ان تفاوضه في شأن الاختراع محتجة أنه مجرم وكان آخر ماصنعو المقاومته أن أصدروا أمر بالقبض عليه

ولقد ادهشتني اعترافاتها دهشة عظيمة فسألتها .

ـ ولكن لماذا قتل في هذا الوقت ؟

فقالت .

ـ من سوء حظه أنه كان قد أهمل تحويل المجري الكهربا فى كما فعلت أنا قبل دخولنا . فلما انفرد فى الغرفة هذه الليلة لاتمام تجاريبه زارته والدني وكانت معتادة أن تزوره بشكل امرأة عجوز لتحضر له جملة أجزاء من آلات كهربائية صنعت له خصيصا فى ميلان وباريز وقد زارته والدني ليلة مقتله ولقد نسي بلا شك أن يقفل أزرار التيار الكهربائي فخرج من الآلة الزجاجية شعاع قاتل غير منظور أصابه وهو جالس إلي مكتبه هناك فاخترقه اختراقا تاما مسببا جرحا بليغا يشبه جرح رصاص المسدس تمام الشبه ولقد حصل نفس الامر فى حادثه برينو وحادثة فلوجل الذى كان يسعى للحصول على الآلة الزجاجية التى حطمت الآن . . وانكم لسعداء الحظ لدرجة عظيمة جدا لانكم لم تقفوا فى الاتجاه الذى يسير فيه الشعاع القاتل ، وإلا لو قمتم مثل الآخرين .

وأشارت إلى بقعة سوداء على الارض كان البوليس قد ظنها أثر احتكاك الرصاصة وقالت .

ـ أنظروا ! هذا هو أثر وقوع الاشعة علي الارض ، أنظروا

كيف سببت لها التلف والذبول ، ولكن لم يعد هنالك خطر البتة الآ ن

قالت هذا وأخرجت بعض بقايا الآ لة الزجاجية من الفجوة التي في الحائط ووضعتها على المائدة وقالت

ـ إن أهم جزء في الآ لة . . . أهم جزء لا يعرف سره غير والدي القتيل هو هذا الجزء المحطم منها

فقال مدير البوليس وقد انحنى باهتمام إلى ناحية الزجاج .

إذا فان سر الاكتشاف القاتل قد قبر إلى الابد ولن يمكن لأحد أن يجده ثانية . .

فقالت

ـ وذلك من حسن حظ العالم فلا ريب أن هـذه الآ لة لو كانت انتشرت لسببت بلاء عظيما وما كان للانسـان أن يأمن على حياته أو أملاكه . . .

فقال مدير البوليس .

ـ وهل تمنعيني من أن أسر كل ماجرى لبوليس سكوتلنديرد الانجليزى ؟

فقالت بسرعة .

ـ نعم وأنا اعتمد على شرفك ووعدك لى بذلك ! اما الجواهر

التى وجدتها فهي لوالدى فقد كان تاجر جواهر قبل ان يشتغل بالكهرباء وانا لن اطالب بهذه الجواهر التى من حقي حتى يظل بوليس انجلترا على اعتقاده السابق بأنى غرقت . ومع اني اعلم الجزء الاكبر من سر والدي حقا لاني ساعدته مع فلوجل اثناء عمل آلته الاولى إلا اني لن اخونه البتة وابوح بالسر لاني اعتقد انه من مصلحة الانسانية ان يظل هذا السر طي الخفاء بل ان يقبر قبرا إلى الابد فلن يكون فى ظهوره إلا وسيلة من وسائل الهدم والشقاء والدمار .

واليوم وانا اغلق دفتر مذكراتي وصلني خطاب من الآنسة اجنس تقول لى فيه انها لحقت والدتها إلي بروسل حيث تنويان ان تعيشا :

ولقد اصبحت سيدتي الآن ارملة حقيقة لامزيفة كما كانت المسكينة هي فلا تزال ذكراها تعاودني من حين إلى آخر .

وسيدي ! ربما كان في مصلحة العالم ان فقد سر اختراعه الرهيب .

اما حياتي هنا مع سيدتى ساين الالمانية فهى حياة خمول ، سكون وحزن وانا احب الحركة واريد سيدة اكثر تأنقا من سيدتى الالمانية هذه .

نعم ! سأبحث لي اليوم عن عمل آخر . فقد سئمت من هذا المكان .

البيت التاسع

يارباه ! اما اللادي لايدجيت فقد كانت إحدي كبيرات المبذرات

لاريب انه لم يكن بين جميع العائلات الارستقراطية في انجلترا سيدة اكثر منها تبذيراً .

والى جانب ذلك كانت إحدي نماذج الجمال الانجليزى النادر الوجود ! ، لقد تزوجت اختها الكبري دوقا وتزوجت هي لورد لايدجيت الصغير

كانت تبلغ السادسة والعشرين من العمر وكان قد صار لها خمسة أعوام وهي متزوجة يوم ان استخدمتني خادمتها الخاصة .

ولقد نشرت صورتها في كل جرائد انجلترا ورآها كل انجليزى وانجليزية واعجب بجمالها الباهر وكانت اعمالها فى الجمعيات مشهورة يتداول الناس اخبارها ويتناقلونها .

وعند زواجها ذهبت إلى منزل آل ليدجيت بالريف وكان يدعى (ليدجيت هول) وقد كان ملكا لآل ليدجيت منذ زمان بعيد جداً يتوارثونه أباً عن جد ويرجع تاريخ استوطانهم فيه الى عهد الملك هنرى الثامن وهو قصر هائل كبير الحجم لايزال

يعتبر فى انجلترا الى اليوم متحفا من المتاحف القومية التى يؤمها كل انجليزى .

وعندما دخلت في الخدمة عندهم أرسلتنى سيدتي الميلادي من لندن الى القصر فى مهمة كى أحضر لها من هناك شيئا كانت قد نسيته .

ومن سوء الحظ انها كانت هجرت قصر آل لايدجيت فى الريف قبل استخدامي بعام واحد على أن لاترجع اليه الى الابد وسكنت مع زوجها في الشارع الشرقي من بارك لين بلندن

وآسفاه لقد كان القصر إحدى العجائب التى رأيتها ويكفي جمال الطبيعة فيه.ففي القاعة الكبري من المنزل كانت معلقة على الحائط جميع أسلحة آل لايدجيت الذين رحلوا عن هذا العالم . وكان البقعة التى تحيط بالقصر بقعة تاريخية مشهورة في التاريخ الانجليزى ، ومن فرط اعجابي بالقصر اشتريت دليلا وقرأت كل ماذكره عن قصر لايدجيت .

ولقد كان لوردات آل لايدجيت يفخرون دائما باستقلالهم وحريتهم وقصرهم ولكن يالاسف ! لقد تسبب تبذير سيدتي الذى لا نظير له فى ذهاب القصر من يدهم ، فلقد نقلت زوجها

بالديون الباهظة من لعب القمار وغيره حتى عجز عن دفع الاقساط والسداد واضطر الى بيع القصر التاريخي الذي ورثه عن أجداده وصار صاحب القصر الآن أحد أغنياء الامريكيين وهو المستر سيلاس شو صاحب الملايين

ولقد باع سيدي بايعاز سيدتي الكثير من مخلفات آل لايدجيت وشوه في معالم القصر ليحصل منه على المال .. وباع أثمن الصور القديمة التاريخية التي كانت في القصر ليحصل على المال أيضا .. ولكن رغم كل ذلك حل الخراب والدمار ولا أعرف عماذا شعرت سيدتي أو سيدي فقط على الاقل عندما انتقل من هذا القصر الفخم الذي كان دليل عظمته وجاهه الى مسكن صغير بيارك لين ؟؟ هي لم يهمها الامر على كل حال أما هو ... ؟!

بل بالعكس لم تقلل من نفقاتها أو تبذيرها لحظة واحده وكانت طويلة القامة فاحمة الشعر جميلة لوجه ساحرة الجمال أنيقة الملبس بل لقد تعدت أناقتها في ملبسها الى درجه الجنون. ولم يكن يهمها البتة ما كان منتظر الحصول فى المستقبل فسيان عندها صلح الحال أم ساء ! وكانت كثيرة المرح والسرور تصرف عن سعة وتتناول طعام العشاء كل ليلة خارج منزلها وكان لها جمع كبير من

الاصدقاء والمعجبين يتبعها الي كل مكان ،

يالشيطان ، لقد كان المركز حرجا حقا فمنذ ما تزوجت كان اللورد ، وهو رجل طيب القلب هادي، الخلق سهل القياد ، غنيا جداً يملك ذلك القصر الفخم والى جانبه ايراد كبير جداً وكان محافظا على تقاليد أجداده التى ورثها عنهم ... ولكنها في مدة خمسة سنوات جعلت كل ذلك أكواما وتسببت في خراب كل شيء واضطر هو أخيراً أن يبيع كل شيء حتي لا يعلن إفلاسه

ولقد بلغت خسائرها فى مونت كارلو مدة فصلين فقط مبالغا طائلة جدا لا يمكن تقديرها ، بل انها كانت مشهورة فى انجلترا أيضا فى منازل القمار بأنها أشد اللاعبين واللاعبات مجازفة وأكثرهم خسارة

مسكين سيدي ، لقد أشفقت عليه حقا من يوم دخولى منزلهم لقد كان لطيفا جدا ومهذبا لدرجة عظيمة صبوراً كثير الاحتمال ومخلصا لزوجته كل الاخلاص. فكان يغمض عينيه عن كل تصرفاتها المعيبة واغلاطها ... نعم كان لا يري أو يتصنع أنه لا يرى عبثها مع الرجال الآخرين ولا يرى اغفالها وعدم اعتبارها بالواجبات الملقاة علي عاتقها .

وبالاختصار ، لم أكد أمضي يوما واحدا في خدمة سيدتي

الميلادي حتى أمكنني بنظرة واحدة أن أري أنها لا تحتفظ بأي حب أو مودة للزوج الامين القويم الخلق الذي جرت عليه بنفسها ذلك الخراب آه ! كم تكون المرأة الجميلة بلاء وخرابا على العالم فى بعض الاحيان! لا أنكر طبعا أنها كانت كاملة الجمال ومتأنقة الملبس من قمة رأسها الي اخمص قدميها . وقد كانت كل ادوات زينتها وملابسها وقبعاتها من محلات الدرجة الاولي بباريز ولكن متى تدفع حسابات كل هذه الملابس والقبعات وأدوات الزينة ؟ هذا مالم تكن تفكر فيه سيدتي بالمرة !

ولقد كانت محلات باريز تعتبر أنه اعلان عظيم الاهمية لمحلاتهم أن تلبس لادى ليدجيت ملابسهم فى انجلترا وتظهر بها هناك ! ولم يكن هناك من يشعر بهذه الحقيقة أكثر من غيره غير سيدتي الميلادي : .

وقد استعملت ماتبقى من ثروة سيدى اللورد فى تأثيث مسكن بارك لين الصغير فجاء مثالا عاليا لاثاث المنزل من سلامة الذوق ودقة الصناعة وفخامة النوع . وكانت القاعدة الوحيدة عندها في اختيار الاثاث هي اختيار : « الفن الجديد » أو « المودة » ؟ ؟

وكنا نحن الخدم نتحدث دائما عن تبذير الميلادي الجنونى وعن

سيدي الذى يغض النظر عن كل مايري أو أنه لا يري حقا ؟

وكان مستر تومبسون وهو خادم المائدة يكره سيدتى من كل قلبه وكان رجلا طويل القامة جامد الوجه أبيض الشعر مثال لخدم العهد القديم وقد قضى ثمانية وأربعين عاما في خدمة آل ليدجيت وكان خادما لمائدة أب سيدى الحالى وقد ولد وربى في المنزل وكذلك والده من قبله ولذلك ترقي في القصر من وظيفة الى أعلى حتى وصل الي أن صار أمينا على كل شيء فى القصر

وكان يفخر بخدمته الطويلة ولم يكن يرضى أن يخرج من القصر ليشتغل في محل آخر ولذا كان مضطرا لان يشهد بنفسه الميلادى الجميلة تقود سيده وولى نعمته الي الخراب والدمار . ولذا لم يكن غريباأن يكره سيدتي وأن يذمها بل ويلعنها أمامنا اذ ما اجتمعنا نحن الخدم حول مائدتنا الخاصة لنتناول الطعام

وكانت سيدتي الميلادى تعرف أن تومبسون يكرهها من كل قلبه ويظهر أنها كانت تسر من ذلك ! وأظن انها حاولت أن تحرض عليه سيدى وتوقع بينهما حتى ينتهي الامر ويطرد الخادم الأمين من المنزل

وقد عرض المستر سيلاس شو الامريكي الذي شتري قصر

آل ليدجيت على هذا الخادم المخلص ضعف مرتبه الذي كان يتناوله عند آل ليدجيت كي يرضى بالاشتغال عنده ولكنه رفض بأنفة أن يهجر ولي نعمته الاول ، وكثيراً ما كان يصرح لنا انه ينوي أن يظل الى جانب سيده حتى النهاية كيفما انتهى الحال

وكنت أعجب بهذا الرجل ، فقد كان صادقا مخلصا أمينا لسيده ، وقلما تجد الآن خادما مثله ، أما نحو سيدتي فقد كان شعوره بكرهها عظيما جدا

وكانت اللادي ليدجيت الآن ملهاة الشبان العاطلين الكسالى من الطبقة الارستقراطية وكانت معروفة بينهم باسم « انجيل » فكانوا يرقصون معها ويعبثون معها ويصحبونها الى المسارح والحانات ودور السينما ويقضون معها الجزء الاعظم من أوقات فراغهم

ورغم انه كان هنالك على الاقل ستة شبان من المعجبين بها لا يتركونها لحظة واحده ويظلون في المنزل طالما كانت هي موجودة فيه . . . أقول رغم ذلك كان سيدي لا يلحظ أو يتظاهر أنه لا يلحظ شيئا من ذلك . فكان يخرج هو مع بعض أصدقائه للتجديف في النهر أو للصيد ويتركها تعبث كما تريد وتسير في طريق الرذيلة الذي يعجبها .

حسنا ، لا ريب انكم تفهمون الآن انه لم يمض علي وقت طويل حتى عرفت عن سيدتي الليلادي أشياء أكثر مما كنت أظن أو تتوقع اني سأعرف فقد كانت ترسلني بخطابات الى هنا وهناك والى اناس لاصله لها بهم ، وكثيراً ما وجدت في جيوبها وعلى مكتبها خطابات غريبة المعني بالنسبة لسيدة متزوجه ! !

وغير ذلك ! حدث مره واحده انه بعد أن ساعدت سيدتى في لبس ملابسها وكانت تستعد للركوب فى عربة أخرى تذهب بها ألي فندق كلاريدج حيث كانت على ميعاد مع أحدهم ، جاءني الخادم الامين تومبسون وانتحي معي جانبا من الغرفة وسألني سراً عن كل ما أعلم .

فكنت أجيبه اجابات مبهمة ، وقد قلت له اني لم أتعود الخوض فى أحاديث عن أسرار سيدتى وشؤونها الخاصة

فصاح . بي وهو ينظر إلى نظرة قاسية :

— ولكنك تعلمين جيداً ياماريت أنها لاتحب زوجها البته بل وانظرى أيضا كيف تهمل النظر فى شؤون ابنها اللورد ستفرتون واللادي انيد وقذفت بهما الى ايدى اللادي ميدلكومب ولم تعن بالذهاب لرؤيتهما منذ عام . ياللعار !

فهززت كتفي ، لقد كان الرجل دائماً ينتقد تصرفاتها وقلت له

— انني اوافقك على ماتقول كل الموافقة يانوبدسون وأعجب كيف يغمض سيدى اللورد عينيه عن كل تصرفاتها هذه ؟

فقال الرجل بحزن

— آه ياسيدتي ! انه لو فعل وتجرأ على انتقاد تصرفاتها أو راقبها فان الصدمة التى ستتسبب له عن ذلك ستكون كافية لأن تقضي على حياته ! انه يحبها حباً عظيما جداً !!

فقلت

— حقاً وأي حب هذا ؟ ؟ انه حب العار

فصاح وقد ضرب المائدة بقبضة يده

— وانه لكذلك ياسيدتي

لقد تسببت فى خرابه ، وهاهي الآن تعبث مع كل فتى جميل وسيم الطلعة تصادفه فى طريقها . ان النساء اللاتى مثلها لهن من القوة وقوة الغواية ماللشيطان ذاته من قوة انى اقسم .. نعم . اقسم لقد شعرت انه يمكنني أن أردعها .

وانطبقت يداه على بعضهما وعلى عينيه بريق غريب هو بريق

الاجرام والكراهية

ولما رجعت سيدتي الميلادي بعد ظهر ذلك اليوم كانت قلقة مضطربة وكان سيدي غائباً في (كاوز) يمضي عطلة آخر الاسبوع وقالت لي وأنا أخرج الرداء الذى سترتديه لتخرج به فى المساء

— ماريت : سألبس رداء المساء لأنى سأتناول طعام العشاء في أحد المطاعم الخاصة فان الكابتن فلبتشر كان على ميعاد معي ليتناول طعام العشاء فى مطعم الريتز ومن ثم نذهب الى الاوبرا ولكنه استدعي فجأة الى فرقته بنيويورك وهكذا سأظل وحيدة هذه الليلة وأنا لا أريد أن يكون فى خدمتى على المائدة هذا الخادم الغبي الزنيم تومبسون . وحقاً انني لاعجب لماذا يحتفظ به اللورد ليدجيت وماذا يستفيد منه . أظن انك كثيراً ماتنازعت معه فى غرفة الخدم ؟؟

أما أنا فقد ابتسمت ، فماذا كان يمكنني أن أجيب ؟

لقد حاولت سيدتي مراراً أن تعرف مني ما كان يقوله الخادم تومبسون أمامي خاصا بها ولكن اعلم أنه من واجبات الوصيفة أن تكون كتومة لكل ماتسمع وترى .

وبذا اتقيت سؤالها وغيرت موضوع الحديث فحدثتها عن

نوع جديد من السوائل المبردة كتبت لى عنه شقيقتى جان وقد أعجبتها الفكرة

وانتهت من لبس ملابس المساء بمساعدتى ثم وضعت لها قناعا على وجهها وأتيتها بزجاجة (الكلونيا) وأخيراً أخرجت قفازاتها البيضاء.

وأتى تومبسون الخادم وهو يتظاهر أمامها بمظاهر الاحترام وسألها بأدب عما اذا كانت تنوى أن تتناول طعام العشاء في المنزل، فأجابت سيدتي بأنفة واحتقار أنها لاتنوى ذلك وأردفت .

— ليس من الخير أن أتناول الطعام وحدى وتكون أنت في خدمتى ، عندما أكون وحدي تكون هيئتك هيئة دافن الأموات،،

وانحني الرجل ونزل السلم وهو يتمتم بضع كلمات سمعتها أنا ولم تسمعها سيدتي لحسن الحظ

وبعد ماخرجت هي من المنزل جاءني الخادم تومبسون وقال لى وهو يتأوه .

— آه ياسيدتي ، اني عند ما أذكر أيامي السعيدة الماضية عند آل ليدجيت يغلى دمي ، انها تشتمني الآن. تشتمني المرأة التي جرتنا الي الخراب . آه مسكين سيدي الصغير

ويالعجب ، لقد رأيت الدموع تنهمر من عيني الرجل المسكين،

وفي عصر يوم من الأيام وكان يوم أول أكتوبر ذهب سيدي الورد بالسيارة الى بركستير ليقضي اليوم فى مزرعة أحد أصدقائه وذهبت سيدتي الميلادى كذلك الى بعض أصدقائها في ريتشموند.

ورجعت سيارة سيدى في الساعة الثالثة وكنا لا ننتظر عودتها في ذلك الوقت ولما وقفت السيارة حملوا سيدى على الأعناق وصعدوا به السلم،

وفى الحال علمنا ما حدث ، وهو أن سيدي أصيب برصاصة في جنبه ، وكان تومبسون الى جانبه وهو فى حزن عميق . وفي الحال اضطرب المنزل ولما سجى سيدي على السرير استدعوا جراحا ماهرا بالتليفون من شارع هرتلى .

وحضر الجراح وكان شاحب الوجه ولكنه لما خرج من الغرفة بعد نصف ساعة سمعته يحدث الخادم الأمين تومبسون قوله.

— يستحسن أن تستدعوا زوجته الميلادي فى الحال فانى أخشى أن يموت إذ الجرح خطير جد وزاد فى خطورته وحدته رحلة الرجوع من بركستير

فصاح بى الخادم بحده

— ماريت . كلمي الميلادى بالتليفون فى الحال واستدعيها .

فأطمت الأمر في الحال ولكنى لما كلمت آل المنزل التي كانت فيه سيدتى قالوا لى أنهم لم يروا سيدتى ذلك اليوم ولا يعرفون البتة أين هي ؟؟

يالعدل السماء ! ولكم سر الخادم تومبسون عندما أخبرته بالرد ، وصاح

— إن هذا هو الأحسن ، فيمكننا أن نتصرف بدونها .

وعند الساعة السادسة حضر جراحان معا وقررا بعد الفحص أن تجري عملية في الحال . ولكن عند الساعة السابعة جاءت الأخبار من غرفة اللورد أنه غاب من وعيه وإنه يضعف تدريجيا .

وعند الساعة السابعة والنصف حضر رسول يحمل خطابا من سيدتي الي سيدى ، فسلمته إلي تومبسون وكان واقفا وحده فى غرفة الطعام وماسلمته إياه حتى صاح

— إن سيدى المسكين لن يعيش ليقرأ هذا الخطاب وآسفاه !

وفتح الخطاب بيد مرتجة وقرأه .

ولما انتهى من قراءته وقف محمر الوجه فاغر الفم شاحبه كالموتي زائغ البصر حتى أن الرسالة سقطت من يده دون أن شعر بذلك !!

فالتقطتها من الأرض وألقيت عليها نظرة ،

وتبادلنا أنا وهو القطرات . هه ، لقد ظهر الحق .. كذا ،،
لقد كان الخطاب وداع سيدتي الى سيدي، فلقد هربت الكونتس
التعيسة الحظ الى باريز مع الكبتن فليتشر
ونزل الخادم المسكين تومبسون بكل حزن وشحوب وجه الى
غرفة سيده الصغير ،
ودخل وخذه بينما وقفت أنا عند الباب :
وسمعت المسكين يشهق بالبكاء وقد قذف بنفسه على الفراش
الذي رقد عليه اللورد الميت ، وقبض الخادم على يده وأخذ يقبلها
بكل شغف وهو يصيح بحزن :
— ابني ، ابني المسكين ، شكراً الله لأنك تعلم بهروبها أبداً ،
مسكين هيوبرت . . ابني . . العزيز . . . ،
وزحفت أنا نحو السلم ، كفاني . .
ولكن بعد ربع ساعة نزل إلينا الخادم تومبسون في غرفتنا وهو
شاحب الوجه ،. ولكنه حافظ لهدوئه المعتاد وقال بصوت ضعيف
— انني آسف أن أخبركم أن سيدنا المسكين لورد ليدجيت
السابع عشر قد مات،
أي عالم هذا ، آه ،،، أي عالم ،،،

البيت العاشر

— خاتمة المذكرات —

حصلت على مركز خادمة عند المس روتفوردمورجان بواسطة جريدة المورننج بوست .

وكانت تعيش مع والدها في منزل من هذه المنازل الكبيرة الحجم الموجودة عند لنكسترجيت وكانت فتاة جميلة فاحمة الشعر في الثانية والعشرين من عمرها .

وعند ماوصلت إلى منزلها في عربة ومعي حقيبتي وجدت سيارة كبيرة خضراء اللون تنتظر عند باب المنزل ، ونزل على السلم رجل متوسط العمر مستدير الوجه غريب الشكل حليق الذقن يضع على عينيه نظارات ذهبية . ورأيت أن ذراعا واحداً من ذراعيه فقط كان يصل إلى كم ردائه الخارجي ، أما الثاني فكان معلقا على حمالة من الداخل

ويظهر أنه كان قدكسر ذراعه حديثا وجاءت خلفه آنسة أنيقة الملبس جميلة الشكل تلبس رداء يصل إلي أطراف قدميها ، ورأيت من خلف نقابها الشفاف أنها ذات جمال باهر غير عادي

وكان الرجل هو سيدي والفتاة هي سيدتى الجديدة.

ولم تتكلم الآنسة معى كثيرا ثم دخلت إلى السيارة وجلست وتركتنى أنظم شؤوني في المنزل الجديد .

ولم يرجعا إلا قبل ميعاد الغذاء بساعة وعند ماكنت أساعدها في خلع ملابسها لاحظت أنها كانت فتاة أنيقة الملبس لطيفة المعشر لدرجة عظيمة . ولذلك وجدت من نفسي ميلا عظيما إليها ، وكانت تحب الملابس والقبعات الجديدة (المودة) وكان عندها رداء خارجيا عظيم القيمة وظهر لى من حديثها أنها رياضيه ماهرة وقالت لى .

— ستصحبيني فى سيارتى كثيرا جداً يامربيت فان والدي وهو مكسور الذراع كما رأيت لايحب ولا يهتم كثيراً بالنزهة في السيارة وأنا أكره الخروج وحدى للنزهة

فكان جوابى:

— سمعا وطاعة ياسيدتي !

والحق انى كنت أحب النزهة بالسيارة وهكذا كان يظهر لي أن مركزى الجديد هو أحسن المراكز التى حصلت عليها وكنت أعلق عليه آمالا كثيرة فيالمستقبل .

وكان عملى بسيطا يتضمن اصلاح بعض الملابس والشرائط

التي تلبسها سيدتي مع ان المرتب كان كبيراً لا يتناسب مع ضآلة العمل ولكن السيدات الانجليزيات يدفعن دائما مرتبات كبيرة للخادمات الفرنسيات اللاتي من الدرجة الأولى .

وكان سيدى ، والد سيدتي ، دائم الشكوى من ذراعه وكان يحمله في حمالة دائما ، ولا يتمكن من تحريكه . ويظهر أن ما أصابه كان من أثر صدمة عربة فى بيكاديلى أحدثت كسراً مضاعفا .

وبدأت أصحب سيدتي فى خروجها بالسيارة وكانت تذهب الى أماكن كثيرة جداً من التي تطرقها السيارات . وكنت أدعوها بالآنسة في البيت

وحدث مرتين أن غير والد سيدتي من رأيه فجأة وعلى غير انتظار فيصمم على الخروج معنا أنا وسيدتى فى السيارة ، وكان يفعل ذلك إذا وجد الجو رائقا جميلا

وفي المرة الأولى وصلنا بالسيارة الى جيلدفوردوتنا ولنا الطعام فى مطعم (انجيل) وبعد أن مكثنا هناك مدة قامت سيدتي لتخرج السيارة من (جراج) المطعم كى نرجع الي المنزل ، وحدث أن قفل باب (الجراج) فجأة وراء سيدتى فقام سيدي ليفتح لها الباب ليسمح للسيارة بالخروج . وكم كان عظيم استغرابي وأشد

دهشتي حين وجدته يستعمل يده اليمني التي كان يدعى دائما أنها مكسورة ويحملها على حالتها ، في فتح الباب!! ولكنه أعادها بسرعة غريبة إلى مكانها بعد أن فتح بها الباب واستمرت هناك على الحالة يخال لناظرها انها مكسورة حقا .

وحدثت حادثة أخري غريبة في الأسبوع الذي تلى ذلك الأسبوع . ذهبنا إلى بريتون فى يوم أحد وجلسنا في المتروبول كالعادة وكان سيدي قد استمر يشكو من حدة الألم فى ذراعه منذ خمسة أيام حتى اضطرنا أنا وسيدتي إلى عدم الخروج ولكن في ذلك الصباح ، لما سألته عن حال ذراعه أجابنى .

— انه على ماهو عليه يامربيت ويؤسفنى أن أذكر لك أن حالته لاتتغير البتة حتى انى أكاد أيأس من استعماله فى يوم من الأيام.

ومع ذلك فاني لما بحثت عنه عصر ذلك اليوم وسط الجمهور المزدحم بالمتربول وجدته في قاعة التدخين وكان ظهره إلى ناحيتي، ولشدة استغرابي ودهشتي،وجدته يكتب خطابا بذراعه الأيمن طبعا!!

سر غامض !!

وكانت سيدتي قد خرجت تمشى في شارع كينج مع شاب يدعي المستر كيف وكانت قد صادفته بالمتربول ، ويظهر أنه كان

صديقها . وكنت قد رأيته قبل هذه المرة فلم يعجبني شكله فقد كان كثير الكلام (غلباوي) يلبس ملابس غريبة لم أرى مثلها من قبل.

وكنت أعجب . ماذا كان يجذبها اليه ؟

وحدث بعد خمسة عشر يوما من هذا التاريخ ان كنت اتنزه في وستبورن وكان ذلك اليوم يوم نزهتى الاسبوعيـة فقابلت في طريقى رجلا طويل القامة رفع قبعته بالسلام على وخاطبني باسمي فاستغربت ذلك جد الاستغراب إذ أنى لم أكن أعرف الرجل أبداء وقال لى الرجل أنه يود أن يحدثني بضع لحظات محادثة خاصة .

قال .

أظن ياسيدتى أنك تعرفين شابا يدعي «كيف»..وهو صديق لسيدتك أليس كذلك ؟؟

فأجبت بدهشة .

— نعم !

فقال وقد أخرج لى بطاقة زيارته.

حسنا ! إعرفي ياسيدتى انى محامي ومسجل ... وأنا مكلف بعمل بعض تحريات عن حياة هذا الرجل .. فهو له عمة عظيمة الثروة وستكتب وصيتها في مصلحته ولكنها تود أن تعلم شيئا عن حياته

قبل كتابة الوصية لئلا يبدد الثروة التي سيرثها فيما بعد . أما التي ستكتب الوصية فهى من زبائن مكتبي وهي تعيش فى اسكتلندا وهي من سيدات العهد القديم . . ولا ريب انك تعلمين أين يسكن الشاب « كيف »؟!

فاجبته :

— انه يسكن في شارع ا وري نمره ٤٤

وكنت قد أوصلت إليه رسالة من سيدتي في اليوم السابق

فقال .

— وإنه لكذلك حقا ولقد ظننت أن بامكانك أن تأتينا ببعض تفاصيل وأخبار عن حياته . وسأدفع لك ثمنا عن كل أتعابك.

ثم سألني .

— انها تحب « كيف » أليس كذلك ؟؟

فضحكت وقلت :

— نعم ! ياسيدي .

وسألني المحامى وكان اسمه برسيفال بضعة أسئلة أخري ورجاني أن أساعده في تحرياته . ثم سلم على وسار فى طريقه .

وفى اليوم التالي كانت سيدتي تحتفل بعيد ميلادها واتفقت

معي على أن أخرج معها في سيارتها لنتنزه نزهة طويلة حول المدينة
ولما كنا نستعد للخروج ووصلنا الى الباب صادفنا سيدي في المنزل
وقال لابنته .

— سأذهب معكما في السيارة ياعزيزتي فأرجوك أن تنتظريني
ريثما أغير ملابسى ، وأنا مضطر جدا للخروج لأشترى بضع
أشياء لازمة :

وبعد برهة ، لما جلسنا فى السيارة التفت سيدي للسائق
ادوارد وقال له .

— سنمر على بضع محلات تجارية اليوم ياادوارد ، فسر بنا أولا
الى محل هورتون اخوان تجار الجواهر بشارع أولدبوند.

وكانت سيدتى تجلس أمامي فعند ماوصلنا الى ميدان جفرنور
قالت لي بتأثر .

— الحقيقه يامريبت اني لم أجد رجلا أطيب قلبا من والدي..
انه طيب جدا فتصوري أنه نزل من المنزل اليوم خصيصا كي يشتري
لى هدية كبيرة القيمة يقدمها لي بمناسبة عيد ميلادى . ولنها لهدية
قيمة حقا ، إنها عقد جواهر !!

فهنأتها وظلت تتحدث معي . وكانت السيارة تسير ببطء زائد

لازدحام الطرق بالمارة والعجلات والمركبات والسيارات . واخيرا بعد جهد عنيف وقفت أمام محل هورتون اخوان تجار الجواهر المعروفين.

ولم تكن هناك جواهر معروضة خارج المحل كعادة التجار بل ان زجاج (الفترينات) كان مدهونا بلون أبيض وليس عليه غير غير اسم المحل (اخوان هورتون .. تجار الجواهر)

وأظن اني انتظرت وحدي في السيارة نحو عشرين دقيقة ، وأخيرا حضر أحد رجال الشرطة وأمر السائق ادوارد أن يسير بالسيارة لأنه عطل بوقوفه حركة المرور والتجارة وأمره بالوقوف في زقاق ضيق إلى جانب المحل من الناحية الأخري، فاضطررت أنا إلى النزول من السيارة لأخبر سيدى بما حدث ريثما يتحول السائق بالسيارة إلى الشارع الضيق .

ولما دخلت المحل وجدت الأب وابنته جالسين وأمامهما عقود كثيرة . وكانا يفحصانها ويقلبانها وأمامهما المستر هورتون صاحب المحل يخدمهما بنفسه وقال وقد أمسك أحد العقود في يده :

— إن هذا العقد يساوي ألفي جنيه على أقل تقدير ولكن نظرا للاحتكاك الصغير الموجود في الجواهر كما أخبرتك يمكني أن أبيعك اياه بمبلغ ألف وسبعمائة وخمسين جنيها ... وفوق ذلك إذا لم يعجب

ابنتك في بحر اثني عشر شهرا فأنا مستعد لشرائه منك ثانية بنفس القيمة ، ويمكننا أن نكتب اتفاقا بذلك ؟؟ ولا يمكنني أن أزيد على ذلك حرفا واحدا ! أليس كذلك ؟؟

وكان سيدي يساوم في الثمن فكان يريد شرائه بمبلغ الف وستمائة جنيه ولكن البائع رفض ذلك بتاتا .

وقال المستر هورتون ضاحكا وقد أمسك العقد بين يديه ونظر اليه فى ضوء الشمس ثم أرجعه الى محله وقد حناه على شكل رقبة من ستلبسه :

— انه لهدية ثمينة حقا تقدمها الى ابنتك ياسيدي ! . . .

ثم أردف !

— وان جواهره من أحسن الجواهر الموجودة الآن فى العالم وانى أسمح لك أن تستدعي خبيراً فى الجواهر ليفحصهم قبل أن تأخذ العقد من هنا

فقال سيدي !

— اني لا أشك فى ذلك وإن لك من الشهرة العالية فى كل مكان مالا يسمح لاى شخص أن يشك فى كلمتك

فقال البائع !

— البعض يشك ياسيدي اننا يمكننا فى هذه المهنه أن نخدع كل شخص الا الخبراء . . وانى اؤكد لك أنه لايمكن لشخص واحد من مليون أن يميز بين الماس والزجاج من النظره الاولى :

ورجعت أنا الى السيارة في الشارع الآخر وأنا افكر فى سيدتي السعيدة الحظ التى ستحصل على هدية لها مثل هذه القيمة في عيد ميلادها :

وانتظرت فى السيارة عشرون دقيقة اخري ، وبعد برهة حضرت سيدتي الى السيارة وفى يدها خطاب وقالت :

— اريد أن تذهب يا أدوار بهذا الخطاب الى ادارة محلات هورتون الرئيسية وتسلم لهم هذا الخطاب وتأتينا بالرد . . :

ثم التفتت الي وقالت :

— اننا ننتظركم هنا الى أن ترجعوا من هذه المهمة ،،،

فقلت :

— سمعا وطاعة ياسيدتي !

وحرك أدوار آلة السيارة وسار بها ومعنا الخطاب

ولم نتعب كثيراً في معرفة ادارة محلات هورتون الرئيسية في هاتون جاردن وكانت موجودة في الدور الاول من منزل من

المنازل فى تلك البقعة من المدينة التى لا يوجد بها الا محلات تجار الجواهر فكأنها مستعمراتهم !

وأخذ السائق أدوار الخطاب وصعد به الى الادارة وبعد انتظار دام عشرة دقائق أعطوه ظرفا مقفلا مربعا معنونا بعنوان المستر هنرى هورتون بشارع اولدبوند ، وأمروه أن يعني بالظرف ويحافظ عليه .

وظننت أنا أن الظرف يحوى عقد جواهر آخر طلبت سيدتي رؤيته فأرسلوه اليها . لتتفرج عليه فى المحل .

وبينما كنا نقترب من شارع كليفورد ببطء رأيت شبح سيدتى وهى واقفة على الرصيف تنتظرنا بفارغ الصبر، وأوقف أدوار السائق السيارة وسلمتها الظرف المقفل ... فسارت به الى ركن الشارع ودخلت به محل هورتون

وبعد عشر دقائق تقريبا عاد الأب وابنته الي السيارة ولما ركبت سيدتي قالت لى بفرح

— آه يامريبت ! لقد أهداني والدى هدية قيمة جداً !!

وقال والدها للسائق

— سر بنا الى مطعم (الديدون) يا ادوارد فسنتناول طعام

الغذاء هناك !..

وهكذا صحبتهم الى المطام ولما نزلا هناك رجعت أنا بالسيارة الى المنزل لاتناول طعام الغذاء وقد قالت لي سيدتى قبل أن تسير بي السيارة :

— الافضل أن تظلي في المنزل هذا المساء يامربيت ولاتخرجي وأنا سأرجع حوالى الساعة الثالثة فانتظريني

ورجعت أنا والسائق ادوارد الى المنزل

وانتظرت طول المساء وبعض ساعات الليل فلم ترجع سيدتى ولا رجع سيدي . بل انهما لم يرجعا الى المنزل تلك الليلة . وفي اليوم التالي ذهبت أنا الى مطعم (الديدون) فسألت عنهما فقيل لى انهما لم يحضرا البارحة ولا أحد رآهما

وقد سبب اختفاءهما عظيم دهشتي ! ترى ماذا حدث ..؟!!

وفي اليوم الثالث ناداني خادم المائدة وقال لي ان هناك سيداً يريد محادثتي وهو ينتظرني فى غرفة الطعام

فلما نزلت وجدت رجلين غريبين فى انتظاري وكان أحدهما المستر هنرى هورتون وقال وهو يشير بيده الى

— هذه هي المرأة عينها !!

فصحت وأنا أحدق فيهما باستغراب !

— رباه ! مامعنى هذا ؟؟!

فقال الرجل الآخر

— معنى هذا ياسيدتي الآنسة انى بوليس سري وانني أقبض عليك بتهمة اشتراكك مع آخرين في سرقة كبيرة ويجب عليك أن تصحبيني الى دائرة البوليس لنحقق معك

وصرخت محتجة على هذه التهمة الباطلة ولكني اضطررت أخيراً أن أرضخ للامر وأصحب الاثنين فى عربة الى دائرة البوليس وهناك دهشت إذ رأيت المستر برسيفال الذى صرح لي الآن انه ليس محامياً ومسجل عقود كما ادعي علي أولا بل انه بوليس سري !

وبالطبع لم يكلفني كثيراً أن أثبت براءتى من هذه التهمة التى لا أصل لها . ولكن قبل اطلاق سراحي قال المفتش برسيفال مخاطبا إياي

— لقد كنت أشتبه فى « كيف » الذى كان قد وقع بين يدي من مدة ثلاثة سنوات قبل هذا التاريخ ، ولكنه كان حريصا جداً على نفسه يلتفت خلفه أينما سار فعرف بطريق ما انى رأيته واشتبهت فيه . . . فاختفي عن ناظرى بالمرة اتقاء لكل شبهة

تحوم حوله ... أما لذين كنت تشتغلين عندهم وهم المستر روته ورجـ
مورجان وابنته فقد اكتشفنا انهما ليسا إلا ديك تريل وليلي ميهو
وهما من لصوص الجواهر المشهورين المعروفين في كل أنحاء العالم ...
بل انهما عضوان عاملان في عصابة مشهورة مختصة بسرقة الحلى
والجواهر فقـط وهي مطلوبة فى كل قارة من قارات أوروبا . . .
ويبحث عنها رجال البوليس فى كل الانحاء

وتذكرت أنا أني قد قرأت شيئا فى الصحف عن هذه العصابة
الكبيرة فسألته إذا كانت هي العصابة التى قرأت خبرها
في الصحف فقال

— نعم ! هى بعينها ... أما لعبة هذه المرة فكانت متقنة لدرجة
عظيمة جداً وها أنا أقص عليك خبرها . كان تريل ومعاونيه
يراقبون دائما أصحاب الثروات ومحال الجواهر والاحجار الكريمة
وقد اكتشفوا أخيراً ان هناك مبلغا كبيراً من المال يحفظ في ادارة
محلات اخوزهورتون يحفظ نقداً كى تشترى به الاحجار الكريمة
من التجار المتجولين الذين لا يأتون في ميعاد معين ويجب أن ينتهو
من شراء مامعهم في الحال ويدفعون لهم فوراً ونقداً كذلك وإلا ذهب
هؤلاء التجار الى محلات أخرى يبيعونها مامعهم من الاحجار الكريمة

ويصاب المحل بخسارة من جراء ذلك .. ولذلك ادعى تريل ان ذراعه
قد كسر وذهب مع شريكته التى كانت معه الي محل هورتون
بشارع بوند وهناك قابل المستر هنري هورتون نفسه وجلس ينتقى
من العقود التى أحضرها له صاحب المحل ... حتى وفق أخيراً
الى عقد أعجبه وأعجب شريكته كذلك ومكث يساوم صاحب المحل
على ثمنه حتى اتفقا أخيراً على سعر نهائي هو الف وستمائة وثمانين جنيها .
ولما جاء وقت الدفع ادعى انه لا يملك في جيبه كل المبلغ المتفق عليه
ولذلك يجب عليه أن يرسل سائق السيارة ليأتيه بالنقود من أخيه
في المنزل ولذلك طلب من المستر هورتون ذاته أن يكتب الخطاب
الذي أملاه عليه ليرسله الى أخيه نظراً للكسر الذى كان في ذراعه
وكذلك ادعت ابنته انها وقعت على يدها اليمني في اليوم السابق
وانها لذلك لا يمكنها أن تكتب هذا الخطاب الى عمها ... فلذا لم يجد
المستر هورتون بداً من أن يمسك القلم ليكتب لهما الخطاب بنفسه بناء
على رجاء « المستر روتفورد مورجان » وهو اسم تريل المزيف
وأملاه تريل الخطاب فكان أوله

« عزيزى جورج »

وقد طلب من المستر هورتون كذلك أن يذيله بالامضاء التالى

« شقيقك المخلص

هارى »

أما عنوان الخطاب فكان كما يأتى .

« المستر هنرى رونفورد

نيوجيت نمرة ٣٠٥ »

ثم أخذت الابنة المزيفة الخطاب وخرجت به اليك في السيارة وسلمته لكما . . . .

فاعترضت أنا قائلة .

— ولكن الخطاب الذي أخذناه ياسيدى كان معنونا بعنوان :

« المستر جورج هورتون

مدير محلات هورتون اخوان »

فقال المفتش : .

— نعم ! هذا حقيقي ولكن هذه هي اللعبة التى لعباها وهنا تتجلى براعتهما في الاحتيال فان الفتاة قد غيرت ظروف الخطابات في شارع جليفورد في ركن مظلم منه دون أن يراها أحد فأخرجت الخطاب الذي كتبه المستر هورتون من ظرفه ووضعته في ظرف آخر جديد كان عليه العنوان التالى .

« المستر جورج هورتون

مدير محلات هورتون اخوان »

وسلم سائق السيارة الخطاب الى المستر جورج هورتون وكان يطلب فيه كاتبه مبلغ الف وثلثمائة جنيه نقداً لترسل مع حامل الخطاب.

فلما استلم المستر جورج هورتون الخطاب لم يشك لحظة أنه من أخيه فانه يعرف خطه جيداً ولانه كان معتادا ان يطلب منه أخيه نقودا ليشتري ما يعرض عليه من الجواهر والاحجار. ولانه رأي الامضاء التي كان يمضي بها أخوه وهي « هاري » . وكانت الحيلة مسبوكه حقا حتى انه لم يشبته البتة فى أي شيء ولم يشك لحظة في أن الخطاب من أخيه حقا وأنه في حاجة الي هذا المبلغ من النقود فسلم المبلغ لسائق السيارة الذي أوصله الى تريل وشريكته ولم يكتشف الشقيقان الحقيقة الا فى المساء عندما اتضح لهما أن الخطاب مزور بطريقة ماهرة جد المهاره ! !

ووقفت أنا بعد أن انتهي المفتش من قصته وقد ألجم لساني فلم أنطق لدهشتي واستغرابي من هـذه الحيل التى لا تخطر على بال أحد .

ثم قال المفتش .

— نعم ياسيدتي ! لقد كانت الحيلة دقيقة جداً وقد هرب الثلاثة . تريل وزوجته و « كيف » من القاره كي يذهبوا الى قاره اخري يمكنهم أن يحتالوا منها بطرق جديده مبتكره . والغريب في هذه المسألة بل المضحك أن يدفع أخوان هورتون ثمن هدية الآنسه فوليت المحتالة بمناسبة عيد ميلادها !!!

غريب !!! أليس كذلك ؟؟؟

خاتمة المذكرات

غداً ! أبارح لندن كى أرجع الى بونت بجني موطني الاصلي حيث استريح من عناء العمل ! . . . فقد اقتصدت بضع آلاف من من الفرنكات يمكنني أن أعيش بها فى سلام !

ولا أنوي الرجوع الي خدمة المنازل بتاتا ! !

فقد كفاني ! !



اخلاص خادمة !

جاست الخادمة انتوانيت ، وهي في بلدة روان مع سيدها البارون حيث يعنى بأمور قضائية، وحررت الخطاب التالي الى سيدتها البارونة فى باريز ·

« سيدتي البارونة دي روزمون

« حسب أمرك يا سيدتي وحسب ما قررتيه مع سيدي البارون سافرت مع سيدي الي مدينة روان حيث يعنى بتسوية ميراث الراهبة دي فرانجفيل

وانك لتخطئين ياسيدتي اذا ظننت انى نسيت ما اوصيتيني به قبيل مبارحتك مع سيدتي البارون وهو ان ارسل لك تلغرافا مستعجلا اذا غير سيدي من رأيه وقدم ميعاد رجوعه الى باريز وخصوصا إذا عزم على الرجوع ليلا· ولسمح لىسيدتى ، مادامت تثق بي هذه الثقة . أن أقول لها . أنني كنت على ثقة من أنها ستغتنم فرصة غياب سيدى البارون عن باريزكي تذهب لزيارة سيدى الضابط فيفو نتبلو اوهي فرصة حسنة جدا مادامت سيدتي لا تتمتع بحريتها الا نادرا ؛

ولكن الامور لم تحدث كلها كما كنا نتوقع ولم أتمكن من معرفة ما ينويه سيدي بخصوص الرجوع في الوقت المناسب. ولهذا حصلت أشياء يجب أن أقصها على سيدتي ولكن لاتجزعين ياسيدتي وكذلك لا يجزع سيدي الضابط فقد أخر سيدى البارون ميعاد رجوعه الى باريز وقد قال لى هذا الصباح

« ان الاقامة لتطيب لى هناء أنى أرغب في تمضية يومين آخرين أو ثلاثة . . . »

ويجب أن تعلم سيدتي قبل كل شيء كي تفهم كل ما حدث أن سيدي البارون كان يسعى ورائي منذ زمان طويل يحاول ايقاعي ومغازلتي . . . فى المنزل . ولم أرض أن أصرح لسيدتي بذلك لان وصيفة مثلى لا يستدعي أمرها اهتماما من أحد ولانى لم اعتد التقول أو النميمه على الاسياد وأخيرا لانى لم أستسلم قط الى سيدي وقاومته مقاومة عنيفة كاد ييأس مني على أثرها ! ولتصدقني سيدتى فى ذلك! مع أن سيدى البارون كان هائما بى الي حد عظيم وكان متحمسا لدرجة الثورة . . . حتى اني كنت كلما رأيته فى غرفه من غرف المنزل ابيت الدخول اليها . بل اني ما كنت أجرؤ على الدخول بالمره فقد كان يحتضنني ويقبلني ... دون ان تعلم سيدتى شيئا

أتذكرين ياسيدتي ذلك المساء الذي ركبت فيه العربة معكما أنت وسيدي البارون وذهبنا الي المحطة وكنت مضطرة الى الركوب بجانبكما لوجود أمتعة كثيرة الى جانب السائق ... ؟ لكم أجهدت نفسي ذلك المساء كي لا أصبح مع اني شديدة التأثر كما تعلم سيدتي؟

وأريد من هذا الى أن انبه سيدتي أن مركز الوصيفة يصبح أحيانا صعبا جدا ودقيقا وخاصة اذ تكون الخادمة مخلصة لاسيادها

وأنا مارضيت بصحبة سيدي الى روان الا كي اساعد سيدتي وأصنع معها معروفا فقد كنت على ثقة من أن سيدي البارون سيغتنم فرصة انفرادي معه كي يعود إلى مما فاته . وهذا ما حصل فعلا ، فقد حاول اولا أن يضطرني الى ركوب الدرجة الاولي من القطار كي أمكث معه ولكني كنت قد احتطت للامر من قبل فاشتريت تذكرتي منذ الليلة السابقة وبينما كان سيدي مشغولا بشراء تذكرته غافلته وصعدت الى الدرجة الثانية توا ... واذ ذلك جاء هو ليفتش على وجلس معي في الدرجة الثانية فاضطررت أن أقاومه حتى مدينة (مانت) فقد كنا منفردين في المخدع أنا وسيدي ومن حسن حظي ان صعدت الى القطار في مانت جماعة من الراهبات واذ ذاك غادرني سيدي وعاد الى مخدعه بالدرجة الاولي

ولـكن عندما وصلنا الى (روان) وركبنا العربة التى أعدت لنقلنا من المحطة الى منزل الراهبة المتوفاه عادت الى سيدي ثورته النفسيه وحاول أن . . . ولم تمد الى سكينتي وهدوئي الا عند ما وصلنا الى المنزل ووجدت الخادمين العجوزين جوا كيم واورسيل فى انتظارنا واذ ذاك لم يجرأ سيدى على معاودة مماكساته . وهما قبيحا المنظر لا أستحب الجلوس معهما لتناول الطعام وقد أصاب سيدي البارون باصطابي معه فانهما لا يفهمان البتة معني خدمة شخص كسيدى البارون ولتصدقني سيدتي انهما تعجبا عجبا عظيما عند ما رأياني هـذا الصباح أعـد لسيـدى ماء ساخنا كالذي يستعمله كل صباح .

وطبعا خدمت سيدي بغاية جهدى ولـكنى تكدرت جدا من هذه المضايقات. وكان سيدى مشغولا باعماله ذلك المساء فاراحني من مغازلاته وملاحقته .

ولـكنه في الليلة التالية أمرنى أن أعد العدة للنوم فى غرفة ملاصقة لغرفته لانه يشكو بالليل أحيانا بعض آلام من مغص بمثانه ولا يخفف عنه الالم الاالسوائل الساخنة التي أعدها له فصدعت ولـكم تغيرت هيئة الخادمين العجوزين حينما رأيانى أعد المعدات

النوم في تلك الغرفة . بل أن « جواكيم » دمدم أمام سيدي قائلا

« لا يليق هذا ! . . . »

ودمدمت الاخري بدورها .

« لا يليق أن تنام خادمة حقيرة جانب غرفة سيدتي القديسة ! »

وقد تألمت عند ما سمعت هذه الاهانات وتظاهرت اني لا أسمعها مع شدة حزني . . فاني فتاة طاهرة عفيفة كما تعلم سيدتي !

وقد شككت فيما يقصده سيدي البارون فلما حان وقت النوم أغلقت باب غرفتي من الداخل وحصنته واستغرقت في النوم . . . ولكني مالبثت أن استيقظت على صوت طرق على الباب وسمعت سيدي البارون يعالج فتحه ، فلم أتحرك من مكاني ولما لم يفلح في فتح الباب نادى .

ـ انتوانيت . . . أنتوانيت . . . !

فأجبت :

ـ نعم ياسيدى ؟ !

فقال . ـ انى أشعر بالمغص ينتابنى فهيء لى شرابا ساخنا !

وقد فكرت في نفسي أن سيدي ربما كان لا يشعر باي مغص

أو ألم ولـكن كان يجب أن اطيع أمره على كلا الحالين !!

وقمت فهيأت له الشراب الساخن قبل مضى نصف ساعة وكنت مضطرة اذ ذاك طبعا الى أن أفتح له الباب كى أقدم له القدح . .

ولما دخلت لاقـدم له القـدح بدأ سيدي يغازلني ويضايقني مضايقته المعتادة وتمادى تدريجا حتى جعل قدح الشراب الساخن يقع من يدى ويسيل ما فيه على الارض . وكدت ابكى ! ولـكنه أمسك بيدي وقبلنى وقال لى انه يحبني من أمد بعيـد وإنه يتعهـد بالاهتمام بمستقبلى لو أنني أجبته الى طلبه ، وانه مستعد لان يؤجر لي منزلا صغيرا لأكون دائما بقربه وإنه يشفق على جمالى أن يذوى في خدمة المنازل !

فشكرته واجبته انى لا يمكنى أن أجيبه الي طلباته .

فقال : ـ ياربـاه ! وماذا ترغبين أكثر من ذلك ؟ ؟ قد أكون غير جميل في نظـرك ؟ !

فقلت : ـ لا ياسيدي البارون ! إنك تعلم أنك جميل الصورة وانني أعجب بشكلك كسائر الناس

فقال :ـ اذا ماذا تنتظرين ما دمت أصحبك ولماذ لا تجيبيني الي ما أريد ؟؟

فقلت .ـ انك تنسي ياسيدى أن لك زوجتك وهي سيدتى البارونة وتنسي كذلك اني فتاة طاهرة عفيفة .

فقال :ـ ومن أين تدري سيدتك ايتها الحمقاء ؟؟ وانت تعرفين انني لا أسألك السقوط ما دمت عفيفة . . . انني ارغب العكس أريد أن تظلى رزينة متى استأجرت لك منزلا ، وسأدبر لك عملا تباشرينه فيه . . .

ثم الحف في الرجاء ولكنه وجدني اعراضا ومعارضة شديدة ووجد انى جادة في الدفاع عن نفسي، وان الفتاة تظل عفيفة برغبتها

واذ ذاك غضب غضبا عظيما وامطرنى وابلا من السباب والشتائم وأمرني بالرجوع الى غرفتي وأغلق باب غرفته بالمفتاح . وقد حزنت لغضبه ولكني في الحقيقة استرحت من مضايقاته . وأمكنني أن أفكر فى نوم هنيء ! ومع ذلك أغلقت بابي جيدا بالمفتاح . . . وسيدتي تعرف ، بلا ريب ، ما ينتاب الرجل احيانا في مثل هذه الظروف !! ولكن الحق أن سيدي لم يحاول مضايقتى بقية الليل

وفى اليوم التالى ، وكان يوم الاثنين ، وجدت سيدي غاضبا عابسا في وجهى ولم يحدثني كلمة واحدة ولذلك لم أجر أن أسأله اذا كان لا يزال مصمما على السفر للرجوع صباح الثلاثاء..ولتسامحني سيدتي فان مظهر غضبه هو الذي منعني من سؤاله هذا السؤال

ثم خرج بعد الظهر كعادته ولم يعد الا فى المساء . وبعد أن تناول العشاء واستراح قليلا جاء الى غرفتي وكانت الساعة التاسعة والنصف وقال لى :

ـ هيا املأى الحقائب يا انتوانيت لاننا سنسافر بقطار الساعة العاشرة !

ـ قطار الساعة العاشرة صباح الغد أليس كذلك ياسيدي ؟؟

ـ لا ! قطار الساعة العاشرة مساء اليوم . . . بل الآن ! ! !
لقد أنهيت كل أعمالي ولا أريد أن أقضي ساعة أخرى في هذه المدينة القذرة !

ولكم ارتعبت اذ ذاك ياسيدتى ! الساعة التاسعة والنصف مساء ومكاتب (التلغراف) قد أغلقت أبوابها فأصبحت لا استطيع أن أبلغك قرار سيدى الفجائى بالعودة وميعادها ! ! وقدكنت أرجح يا سيدتي انك كنت تلك الليلة مع سيدى (الضابط) بفنتبلو . .

وخيل الى انني وصلت مع سيدي البارون الى المنزل عند منتصف الليل فلم نجدك أووجدناك مختلية بسيدي « الضا ط » !!

ولاحظ سيدي البارون أني اكتأبت قليلا عند ما حدثني عن موعد القطار فقال :

ـ ألم تفهمي يا انتوانيت ؟ ماذا جري ؟ ولمـــــاذا عبست لفكرة السفر ؟ ! !

واذ ذاك الهمني الله فكرة حسنة رأيتها أحسن وسيلة للخروج من هذا المأزق فاجبته .

ـ أخاف أن يكون سيدي قد عزم على السفر حالا لغضبه مني ولو أني لم أقصد البتة أن أسبب له أي غضب أو ألم . . . ولو علمت أننا سنرحل هذا المساء . . . .

فاستبشر سيدي خيرا وابتسم قائلا .

ـ ماذا كنت تفعلين لو علمت أننا سنرحل هذا المساء ؟ ؟ هل كنت تعودين الى صوابك ؟ !

ثم وضع يده على وجهي . . !

يارباه ! ولم يمكنني أن أرده أو ابتعد عنه هذه المرة ! افلم يكن واجبا على أن أمنعه من السفر تلك الليلة باي وسيلة كانت ؟ !

ولما رأى سكوتي عاود مغازلته وأمسك بي وضمني الى صدره ! ولم أرده بل ضحكت قائلة ..

ـ سيدي ! أخاف الا تلحق القطار !

فاجاب . ـ أي قطار ! لا يهمني الآن القطار . . . !

وأخير ماذا أقول لسيدتي ؟ بالطبع لم أضحك وامزح طول الوقت فقد كان واجبا على أن أخضع لرغائب سيدي البارون . . وانى أؤكد لسيدتى انه لم تكن هناك وسيلة أخرى لمنعه عن السفر تلك الليلة . .

ولن أقص لسيدتى كيف انقضي الليل . لم يتركني سيدي البارون اغلق باب غرفتى ولم تكن لذلك أهمية بعد ! وكنت أظن أننا سنسافر بقطار الساعة الثامنة صباحا ... ولكن ها سيدي لا يريد السفر البتة !! وهو يصرح أن « روان » مدينة تعجبه وهو يريد أن يصطحبني في نزهات خلوية بين الحقول والغابات ! !

لقد كنت صريحة القول معك ياسيدتي . وانه ليمكنك أن تثقي انك تعرفين الحقيقة بتمامها الان وانني ما تصرفت بهذه الكيفية إلا لصالحك ولاؤدي لك خدمة . فاذا كتب الخادم الكهل أو الخادمة العجوز شيئا غير هذا لسيدتي فهما كاذبان !! وأنا أرجوك

[illegible] ان تخبرني عما يجب أن أعمله فاذا كنت تأمرينني بالرجوع الى باريز رجعت في الحال ، اما اذا كانت سيدتي تريد ان تبقى بحرية بضع ايام اخرى فأنا واثقة انه يمكنني ان احجز سيدي [illegible]لظروف هنا !!

ولان سيدي يلحف في الطلب دائما ، وكذلك العمل اليومي يرهقني ، ولذا فأنا تعبة جدا هنا ولكن اذا رغبت سيدتي ان ابقى فأني سأرضى بالبقاء حبا في سيدتي فقط اذ افكر في سعادتها الخاصة وكذلك سعادة سيدي « الضابط » !



يطلب من المكتبة المصرية لصاحبها حسين حسنين الشماوي بمصر الكتب الآتي بيانها :—

السر تحت الملابس
أنواع الغرام في باريس
٥ معنى الزواج
٥ أسرار الدنيا مجموعة قصص مصرية
٥ اعترافات مومس
٥ آمال المحبين
٥ مناجاة أرواح
٧ ملوك الشعر في الدولة العباسية
٥ مملكة الخيال
٥ اللؤلؤ في الادب للسيد توفيق البكري
٤ قصص مشاهير كتاب الغرب لفرج جبران
٥ ديوان العاصي
٤ الشهداء أو القلوب الدامية
٤ سخرية الناي مجموعة قصص مصرية

5417

SIA